

الخلاف النحوي في الحروف المشبهة بالفعل

**A Syntactic Discrepancy in Semi – Verbal
Letters**

إعداد الطالب

عبد الكريم محمد عقل

الرقم الجامعي : (401110010)

إشراف الدكتور

محمد عبد الله أبو الربّ

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

آب 2014

التفويض

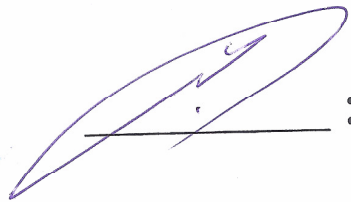
أنا عبد الكريم محمد عبد الكريم عقل ، أفوض جامعة الشرق الأوسط

بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً للمكتبات ، والمنظمات ،

والهيئات ، والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاسم : عبد الكريم محمد عبد الكريم عقل.

التاريخ : ٢٠١٤ / ٨ / ٤

التوقيع : 

قرار لجنة المناقشة

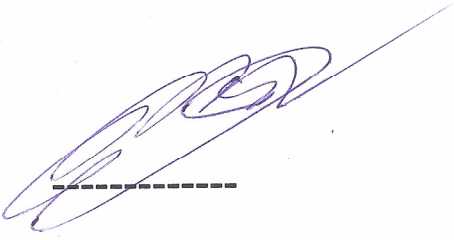
نوقشت هذه الرسالة ، وعنوانها : الخلف النحوي في الحروف
المشبهة بالفعل ، وأجيزت بتاريخ : ٢٠١٤ / ٨ / ٤

التوقيع:

أعضاء لجنة المناقشة :



١- د. محمد عبد الله أبو الرب (مشرفاً وعضواً)



٢- أ.د عبد الرؤوف زهدي (رئيساً وعضواً)



٣- د. حنان إسماعيل العميرة (عضواً)

شكر و تقدير

الحمد لله الذي وفقني لأختار هذا الموضوع . والحمد لله الذي أعانني على إتمامه على الرغم من تقصيري في إعطائه الجهد اللازم , والوقت الكافي . والحمد لله الذي جعلني ممن يخدمون اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

ولا أنسى شكر من كان لي خير معين في توجيهي , وتعليمي , ونصحي منذ بداية دراستي ليخرج هذا البحث على الشكل الذي يليق بموضوعه , خاصاً منهم : المشرف الذي تشرفت بإشرافه ومتابعته لي منذ البداية الأستاذ الدكتور محمد عبد الله أبو الرب .

وأساتذتي الذين سعدت بعلمهم , الأستاذ الدكتور سعود الجابر , والدكتورة جمانة السالم , والدكتورة سهى نعجة . كما لا أنسى عظيم الشكر لوالدتي التي سأبرها ما حييت فهي كل وجودي .

والشكر الجزيل لعضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف زهدي , والدكتورة حنان إسماعيل العميرة اللذين قدّما لي النصح والتصويب لما بدر مني من سهو أو خطأ .

والشكر لكل من دعا لي بالتوفيق والنجاح من أخ وأخت وصديق .

قائمة المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	الغلاف
ب	التفويض
ج	قرار لجنة المناقشة
د	شكر و تقدير
هـ	قائمة المحتويات
ز	ملخص باللغة العربية
ح	ملخص باللغة الإنجليزية
الفصل الأول : الإطار العام للدراسة	
3-2	مقدمة الدراسة
4	مشكلة الدراسة
4	هدف الدراسة
4	أهمية الدراسة
6 – 5	مصطلحات الدراسة
الفصل الثاني : الإطار النظري للدراسة	
9 – 8	الإطار النظري
10 – 9	الدراسات السابقة
11	منهجية الدراسة
11	الطريقة الإجرائية
17 -12	مدخل: نشأة الخلاف وأسبابه و آثاره
الفصل الثالث : الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل	
19	الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل
22 – 20	المسألة الأولى : الخلاف في عامل رفع خبر (إنّ) وأخواتها
25 -23	المسألة الثانية : الخلاف في نصب خبر الحروف المشبهة بالفعل
28 -26	المسألة الثالثة : القول في العطف على اسم (إنّ) بالرفع قبل مجيء الخبر
32 -29	المسألة الرابعة: القول في (إنّ) : أمخفة من الثقيلة أم نافية
36 -33	المسألة الخامسة : الخلاف في عمل (إنّ) المخفة من الثقيلة
38 -37	المسألة السادسة : القول في عمل (كأنّ) المخفة من الثقيلة

43-39	المسألة السابعة : الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل بعد اتصالها بما الكافة
46-44	المسألة الثامنة : الخلاف في كسر همزة (إنّ) في بداية جملة القسم
47	المسألة التاسعة : الخلاف في كسر همزة (إنّ) بعد (حيث)
50-48	المسألة العاشرة : الخلاف في خبر (ليت) في قولك : (ليت شعري)
54-51	المسألة الحادية عشرة : الخلاف في أصالة (إنّ) على (أنّ)
59-55	المسألة الثانية عشرة : القول في زيادة لام الابتداء في خبر (لكن)
الفصل الرابع : الخلاف في معاني الحروف المشبهة بالفعل	
61	الخلاف في معاني الحروف المشبهة بالفعل
64-62	المسألة الأولى : الخلاف في معنى (أجل) الذي تخرج إليه (إنّ)
67-65	المسألة الثانية : الخلاف في (أنّ) المخففة من الثقيلة إذا جاءت بعد (ما) النافية أزانة أم أصلية
71-68	المسألة الثالثة : الخلاف في المعنى الذي تخرج إليه (لكنّ)
76-72	المسألة الرابعة : الخلاف في المعنى الذي تخرج إليه (كأنّ)
80-77	المسألة الخامسة : الخلاف في المعنى الذي تخرج إليه (لعلّ)
الفصل الخامس : الخلاف في بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها	
82	الخلاف في بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها
87-83	المسألة الأولى : الخلاف في لام (لعلّ) الأولى أزانة أم أصلية
90-88	المسألة الثانية : الخلاف في بساطة (لكنّ) وتركيبها
93-91	المسألة الثالثة : الخلاف في تركيب (كأنّ) وبساطتها
94	الخاتمة
95	النتائج والتوصيات
104-96	المصادر والمراجع

الخلاف النحوي في الحروف المشبهة بالفعل

عبد الكريم محمد عقل

ملخص

جاءت هذه الدراسة خدمة للغتنا العربية , وللباحثين في علم النحو خاصة. ولقد اختص البحث في الخلاف النحوي بالحروف المشبهة بالفعل , وذلك من ثلاثة محاور دار حولها الخلاف , وهي : العمل , والتركيب , والمعنى.

وهذه الدراسة تتبع آراء النحاة الأوائل التي قيلت في الحروف المشبهة بالفعل , وارتكزت على دراسة بعض الشواهد التي اعتمدها النحاة ضمن إطارها الزمني والجغرافي المتفق عليه .

كما تُظهر هذه الدراسة أهمية الخلاف في تطوّر النحو واستقراره. وذلك من خلال تتبع آراء النحاة الأوائل في المسائل الخلافية . وتوصي هذه الدراسة في البحث عن المسائل الخلافية في الحروف المشبهة بالفعل التي لم تشملها , واستكمال الآراء النحوية التي لم تنقلها.

A syntactic Discrepancy in Semi-Verbal Letters

Abdalkareem Mohammad Aqel

Summery

This study serves Arabic language in general and the scholars of syntax in particular. The study examines the syntactic discrepancy around semi-verbal letters from three different perspectives: function, structure and meaning.

The study adopts the views of pioneer scholars in syntax which discussed semi-verbal letters. In addition, this study depends on examining some examples which the scholars adopted within the geographical and time frame that was agreed upon.

Moreover, the study highlights the importance of the disagreement in the development and stability of syntax through tracing the options of the first syntax scholars in problematic issues. The study recommends the search for problematic cases which were not included and to follow up the syntactic views which were not discussed.

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

مقدمة الدراسة :

لقد كانت اللغة محط اهتمام العرب منذ الأزل , قال تعالى مظهرا هذا الاهتمام : { فَإِذَا دَهَبَ الْخَوْفُ سَلْفُوكُمْ بِأُسَيْنَةٍ إِدَادٍ } (سورة الأحزاب : 19) وبعد مجيء الإسلام واتساع رقعته , ودخول العجم فيه , ظهرت آفة اللحن , وانتقلت إلى البادية حتى وصلت القرآن , مما زاد التخوف من تحريفه , فأوجب ذلك وضع علامات إعرابية تساعد في القضاء على اللحن عند العرب .

واستقر النحو علما منفردا في الدولة الأموية دون سائر العلوم الجدلوية , إذ كانت البصرة مركزا أدبيا يستقطب علماء النحو ؛ للإفادة منها في تدوين ملاحظاتهم النحوية وجمع قواعدهم وكذلك الكوفة , ولكن اهتمامها النحوي جاء بعد تكون النحو في البصرة . ونشأت كلتا المدرستين واتضحت معالمهما واستقر حب النحو فيهما , ولكن الخلاف نشأ بينهما والتهب في مناظرات ومواجهات عديدة , ومن ثم أخذت تتلاشى حتى انتهائها في بغداد .

وهذه الدراسة تتناول قضية خلافية من القضايا التي شغلت كلتا المدرستين ألا وهي قضية الخلاف في الحروف المشبهة بالفعل . وتسعى الدراسة إلى تناول بعض ما يخص هذه الحروف من أوجه خلافية متعددة ؛ فكان الخلاف فيها في ثلاثة محاور : أما المحور الأول فكان في العمل الذي تعمله , وأما المحور الثاني فكان في المعاني التي تخرج إليها , وأما المحور الثالث فكان في بساطة هذه الحروف وتركيبها ؛ لإظهار أهمية الخلاف – من خلال نسبة الآراء إلى أصحابها - في نشأة النحو واستقراره .

أما المحور الأول فقد اهتمّ بدراسة الآراء النحوية التي قالها النحاة الأوائل في عمل الحروف المشبهة بالفعل , من خلال قضايا خلافية متفرقة تدور حول أصل العمل وفروعه كالقول في عامل رفع خبر الحروف المشبهة بالفعل , والقول في عملها بعد التخفيف وغيرها من مسائل متفرقة , وينتظر إلى بعض حالات الشذوذ في العمل التي تختص ببعض اللهجات , كالقول في (ليت) النصب للخبر .

أما المحور الثاني فهو يهتم بالمعاني التي تخرج إليها الحروف المشبهة بالفعل , إذ تبين دور المعنى في تحديد العمل , كالقول في معنى (أجل) الذي تخرج إليه (إنّ) , وله دور أيضا في تعدد المقاصد المطروحة في السياق من خلاله , كالقول في المعنى الذي تخرج إليه (لعلّ) وكأَنَّ ولكنّ) , لننتعرف على المعاني التي خرجت إليها.

أما المحور الثالث فهو يبحث في آراء النحاة التي قيلت في بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها , فلا ننكر أثر التركيب في أصل العمل , ولهذه الآراء دور أيضا في الكشف عن بعض اللهجات التي تُعدّ بدورها كلها حجة , ولكنها تتراوح في شيوعها واستخدامها , كالقول في لام (لعلّ) الأولى أزائدة أم أصلية ؟

وهكذا نتعرف على المحاور الثلاثة التي دار حولها الخلاف و تشكلّ منها بعض مسائل النحو العربي , إذ استخلصت من آراء علمائنا الأوائل التي أدت إلى تعدد الوجوه الإعرابية في المسألة الواحدة , والتتبع الزمني لهذه الآراء يكشف لنا عن آلية تطور الفكر النحوي , وعن الأسس التي يُحتج بها , وعليها يُبنى قوة الوجه الإعرابي أو ضعفه.

مشكلة الدراسة وأسبابها :

دار الخلاف النحوي بين كلتا المدرستين الكوفية والبصرية في ثلاثة محاور أساسية أما المحور الأول ففي العمل , وأما المحور الثاني ففي المعاني المستفادة , وأما المحور الثالث ففي البساطة والتركيب .

وعليه سيحاول الباحث الإجابة عن الأسئلة الآتية :

- بماذا تمثل الخلاف في بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها ؟
- بم تمثل الخلاف في معاني الحروف المشبهة بالفعل ؟
- كيف تمحور الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل ؟
- كيف أثر الخلاف في ترسيخ القواعد والارتقاء بالفكر النحوي ؟

هدف الدراسة :

تسعى الدراسة إلى جمع الخلاف الدائر في الحروف المشبهة بالفعل , وتقسيمه إلى ثلاثة محاور ألا وهي : الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل , والخلاف في معانيها , والخلاف في بساطتها وتركيبها .

أهمية الدراسة :

تعالج هذه الدراسة قضية الخلاف في الحروف المشبهة بالفعل ؛ وذلك ليستفيد منها دارسو النحو العربي , والوقوف على معظم آراء علماء النحو الأوائل في ذلك . كما تثري هذه الدراسة المكتبة العربية بموضوع يعالج قضية من قضايا النحو التي لم تدرس بمجملها سابقا .

مصطلحات الدراسة :

1 - الخلاف النحوي :

جاء في لسان العرب : " الخلاف المضادة , وقد خالفه مخالفة وخلافا وفي المثل : إنما أنت خلاف الضبّع الراكب أي تخالف الضبع لأن الضبع إذا رأته الراكب هربت منه "

(ابن منظور (ت 711هـ) , لسان العرب , خلف)

كما أورد الزبيدي (ت 1205 هـ) في كتابه تاج العروس قوله : اختلف ضد اتفق وتخالف الأمران أي : لم يتفقا , وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف , وأورد أيضا قول السكري (ت 275هـ) : الخلفة , بالكسر الاسم من الاختلاف , أي خلاف الاتفاق .

المصطلح الإجرائي : اختلاف علماء المدرستين البصرية والكوفية في مسائل نحوية محددة تختص بالفروع لا الأصول .

ومن هنا جاء هذا المصطلح (الخلاف النحوي) أي هذا الرأي خلف هذا الرأي وبدل منه .

ومن تلك الاختلافات اختلافهم في الحروف المشبهة بالفعل ؛ إذ تركز الخلاف في ثلاثة محاور أما الأول : ففي عمل الحروف المشبهة بالفعل , وأما الثاني ففي معاني الحروف المشبهة بالفعل , وأما الثالث : ففي بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها .

2 - الحروف المشبهة بالفعل :

جاء في تاج العروس : " والحروف : (ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل , وما سواه من الحدود فاسد) .

(الزبيدي (ت 1205هـ) , تاج العروس من جواهر القاموس , حرف)

ولقد عرف الزجاجي (ت 340هـ) الحروف المشبهة بالفعل : هي الحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر ؛ لمضارعها الفعل المتعدي .

(الزجاجي (ت 340هـ) , الجمل في النحو , ص 51)

ولقد عرفها عبد القادر عبد الجليل في معجمه المعياري : " ستة مورفيمات , (ثلاثية ورباعية التكوين الصوتي) , تمارس وظيفتها المعيارية في فضاء الجملة الاسمية , فتؤثر في المبتدأ نصبا , من حيث شكل العلامة الإعرابية ويسمى اسمها , في حين يبقى الخبر على حالته من رفع "

(عبد الكريم (2007) المعجم المعياري لشبكات الفصائل النحوية , ص18)

المصطلح الإجرائي : هي الحروف الستة التي أشبهت الفعل من حيث المعنى وعلامة البناء والوزن ودخول نون الوقاية عليها واقتضاؤها الاسم , وهي (إنّ و أنّ و كأنّ و ليت و لعلّ و لكنّ) .

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

الإطار النظري والدراسات السابقة :

إنّ الخلاف النحوي في الحروف المشبهة بالفعل لم تدرج في دراسة تجمع مآانه المختلفة , من حيث العمل والمعاني التي تخرج إليها وبساطة هذه الحروف وتركيبها في دراسة مختصة , ولقد تناول هذا الموضوع متفرقا معظم علمائنا الأوائل ونصوا عليه في كتبهم كما تحدث كثير من المحدثين عن هذا الموضوع , ولقد وجد الباحث الكثير من الدراسات ذات الصلة بهذه الدراسة ولكنها لم تجمع الخلاف الدائر حول الحروف المشبهة بالفعل .

الإطار النظري :

ولقد تحدث سيبويه (ت 180هـ) في كتابه (الكتاب) الذي يمثل معظم آراء البصريين في عمل هذه الحروف وخاصة وجوه استعمال (إنّ) الثقيلة والمخففة منها , والمعاني التي قد تخرج إليها بحسب سياقها .

كما تحدث الزجاجي (ت 340هـ) في كتابه (الجمال في النحو) عن مشابهة هذه الحروف بالفعل , وتحدث عن معاني الحروف المشبهة بالفعل , وتحدث أيضا عن آلية عمل هذه الحروف مركزا الحديث على مواقع (إنّ و أنّ) في السياق .

وتحدث عنها أيضا الهروي (ت 415هـ) في (الأزهية في علم الحروف) والتقت دراستي مع هذا الكتاب في حديثه عن معاني الحروف , وعمل (إنّ) المخففة من الثقيلة وإضمار اسمها وتحدث أيضا عن مواضع (إنّ و أنّ) المخففة وهو ما سيكون مدار البحث في دراستنا .

وتحدث الأنباري (ت 577هـ) في (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) عن مسائل خلافية كثيرة في عمل هذه الحروف التي التقت معها دراستي , كما تحدث عن بعض الخلافات في تركيب هذه الحروف وبساطتها , ولكنه لم يتحدث عن معاني هذه الحروف .

كما تحدث العكبري (ت 616هـ) في كتابه (اللباب في علل البناء والإعراب) عنها , وتلاقت دراستي مع هذا الكتاب في حديثه عن عمل (إنّ و أنّ) من أوجه عمل متعددة , وذكر أيضا بعض الآراء الخلافية فيها , وأورد أيضا بعض الآراء في بساطة هذه الحروف وتركيبها .

كما وجدت إشارات عن هذه الحروف عند عبد الكريم في معجمه (المعجم المعياري لشبكات الفصائل النحوية) الذي نشرت طبعته الأولى في (2007) , واتفقت معها دراستي

بحديثها عن دلالة هذه الحروف وعملها , وتحدث أيضا عن حالات كسر همزة (إنّ) وفتحها , وأورد حديثا آخر عن تخفيف النون في النظائر الأربعة (إنّ وأنّ و كأنّ و لكنّ) .

و كذلك القضاة (2010) في كتابه (قضايا حروف المعاني في اللغة والنحو) , وتوازت دراستي مع حديثه عن أصالة (إنّ) في الحروف الناسخة , كما تحدث عن الخلاف في بساطة هذه الحروف وتركيبها .

الدراسات السابقة :

ومن هذه الدراسات الدراسة التي قام بها , الوليدي (2005) , الموسومة بـ (الخلاف النحوي في المنصوبات) ونفذت دراسته إلى الخلاف في العامل الناصب لاسم (إنّ) والخلاف في إعمال (إنّ) المخففة , فلم تشمل جميع خلافات العمل كما لم يذكر معاني هذه الحروف ولا بساطتها ولا تركيبها .

وتضمنت الدراسة التي قام بها الجزولي (2005) , الموسومة بـ (المعرف بأل وإن وأخواتها والاستثناء والبدل) التي اتفقت دراستي معها , فذكر بعض معاني هذه الحروف , والخلاف في (إنّ) أي أصل أم فرع , ولكن دراسته لم تشمل بساطة هذه الحروف وتركيبها , والخلاف في عملها كما سيجيء في هذه الدراسة .

وفي دراسة قام بها الطلاق (2006) الموسومة بـ (النواسخ وأثرها التركيبي والدلالي دراسة في كتاب إملاء ما من به الرحمن في ضوء المنهج التحويلي) , التقت دراستي معه في حديثه عن النواسخ الحرفية وذكرها جملة معا , ولكن دراسته اعتمدت على النظرية التوليدية التحويلية وأثرها في الجملة من حيث المعنى السطحي والعميق للجملة .

أيضا الدراسة التي قام بها البواصلة (2007) , الموسومة بـ (المنصوبات في ضوء كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى دراسة وصفية تحليلية) جاء الحديث بها عن المشبه بالمفعول به في اللفظ متلاقيا مع دراستي ولكنه اقتصر على عامل نصب اسم هذه الحروف .

وتلاقت أيضا دراستي مع التي قام بها القرني (2008) الموسومة بـ (اختلاف آراء ابن مالك النحوية من خلال شرح الأشموني للألفية) في حديثه عن الخلاف في معنى (لكن) المخففة من الثقيلة الاستدراك أم العطف , واتفقت أيضا في حديثه عن عدم تقدم الحال إذا كان العامل متضمنا معنى الفعل ليشمل الحديث الحروف المشبهة بالفعل .

وتوافقت دراستي مع الدراسة التي قام بها الشنقيطي (2009) الموسومة بـ (اختيارات أبي بكر الشنواني وآراؤه النحوية في كتابه الدرر البهية على شرح الأزهية) من خلال حديثه عن موقع الجملة محكية القول ووقوع (إنّ) بداية هذه الجملة , وتحدث أيضا عن الخلاف في تعيين النون المحذوفة من (إئي و إنا) , ولم يتكلم عن عمل هذه الحروف , والمعاني التي تخرج إليها .

وهذه الدراسات كلها لم تخص هذه الحروف بدراسة شاملة من حيث عملها والمعاني التي تخرج إليها وبساطة هذه الحروف وتركيبها , ولكنها عرضت في ثناياها خلافات متفرقة مما أريد طرحها وتحليلها في هذه الدراسة .

منهجية الدراسة :

اتبعت في هذه الدراسة منهج الوصف التحليلي والمنهج التاريخي إلى حد ما لجمع آراء النحويين في موضوعها وتحليلها .

الطريقة الإجرائية :

ستقع هذه الدراسة في خمسة فصول :

الفصل الأول : فيه المقدمة , ومشكلة الدراسة , وهدف الدراسة , وأهمية الدراسة , ومصطلحات الدراسة .

الفصل الثاني : وفيه الإطار النظري والدراسات السابقة ومنهجية الدراسة والطريقة الإجرائية .

الفصل الثالث : وفيه الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل

الفصل الرابع : وفيه الخلاف في معاني الحروف المشبهة بالفعل .

الفصل الخامس : وفيه الخلاف في بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها .

مدخل : نشأة الخلاف وأسبابه وآثاره .

لقد كان العرب على سليقتهم قبل مجيء الإسلام , وكانت قریش أفصحهم نطقاً فحرصت على نقاء هذه الفصاحة تعصبا لمكانتها بين العرب , فقد ينطق أحدهم بالمولد والدخيل ولكنه لا ينطق باللحن⁽¹⁾. وبعد مجيء الإسلام واتساع رقعته ودخول العجم فيه ازداد التخوف من تحريف القرآن , وهذا ما تبين من خلال استقراء الروايات المنقولة عن شيوع اللحن وخاصة في كتاب الله عز وجل , فما نقل عن كلام الأعرابي في زمن الفاروق خير دليل إذ قال : " من يقرئني شيئاً مما أنزل على محمد؟ , فقرأ له رجل قوله تعالى : {وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...} ⁽²⁾ بكسر لام رسوله في قوله تعالى : {مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} فقال : إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا أبراً منه" ⁽³⁾؛ فوضع أبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ) العلامات الإعرابية التي تقلل من اللحن في القرآن الكريم ؛ لأنه الركيزة الأولى لدين الإسلام , فكانت أول مبادرة في نشأة النحو⁽⁴⁾.

وظلت المبادرات بعد أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) تتوالى وصولاً إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) الذي استقرت نظرية العامل عنده وكتاب - الكتاب- لسيبويه (ت 180هـ) برهان على عبقرية الخليل وتلميذه , ونشأ النحو الكوفي بعد استقاء الرؤاسي (ت 187هـ) من معرفة الخليل وتجاربه داخل بوادي الحجاز وتهامة ونجد , ليذهب إلى الكوفة ويرسي أساس هذا العلم فيها مهتماً بالأبنية والتصاريح , ثم جاء بعده الكسائي (ت 189هـ) وتلميذه الفراء (ت 207هـ) لتتضح معالم مذهبهم من حيث القياس ووضع المصطلحات الخاصة بهم⁽⁵⁾.

(1) انظر : الأفغاني , سعيد (1964) . في أصول النحو , دمشق : مطبعة جامعة دمشق , ص15.

(2) سورة التوبة : 3.

(3) الأنباري , أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن الأنباري (1998) . نزهة الألباء في طبقات الأدباء , تحقيق : محمد

أبو الفضل إبراهيم , القاهرة : دار الفكر العربي , ص17-18.

(4) انظر : المصدر السابق , ص14-16.

(5) انظر : ضيف , شوقي (1992) . المدارس النحوية , ط7 , القاهرة : دار المعارف , ص5-8.

فنشأ كلا المذهبين وتناولوا معظم المسائل النحوية واحتد النزاع بينهما حتى يثبت كل منهما رجحان رأيه على الآخر , وذلك بالحجج والبراهين التي اعتمدت على النقل ثم القياس , فتقيدا بزمان ومكان محددين حرصا على صحة القياس , فأما الزمان فاحتجا بأقوال فصحاء العرب والجاهلية وفصحاء الإسلام إلى منتصف القرن الثاني سواء أسكنوا البادية أم الحضر, واستمر تدوين أهل البادية إلى أواخر القرن الرابع للهجرة, أما المكان فيرتبط بالقبائل في الجزيرة العربية وخاصة في قلب الجزيرة العربية كقريش وقيس وتميم وأسد إذ لم يحتج بجميع لغات العرب كجذام وغسان وتغلب ونمر وذلك يعتمد على بعد هذه القبائل من مواطن العجم أو قربها (1).

أما ما يحتج به فهو القرآن الكريم بتعدد قراءاته حتى الشاذة ؛ فهي وجه من وجوه العربية , وبالأحاديث النبوية ذات السند الصحيح , وكلام العرب وفق ما تبين من زمان ومكان, ويجب أن تكون أحد العلوم اللفظية , وهي: اللغة والنحو والصرف , أما العلوم المعنوية كالبديع والمعاني والبيان فلا يحتج بها . أما الخلاف فتمحور حول اللفظ كصحة الاستعمال واللغة والنحو والصرف وحول المعنى الذي يتأثر بالسياق وحول بساطة اللفظ وتركيبه .

وكان الخلاف نتيجة عدة عوامل من أهمها : أولا : الأسلوب الذي اتبعه كلا المذهبين في السماع والقياس والتعليل ؛ فكانت البصرة على نهج الخليل (ت 175هـ) الذي أخذ عن العرب الخُص الذين يوثق بفصاحتهم , واعتمد في قياسه على المطرد الشائع , وكل ما يخالف القاعدة المستنبطة المحكمة كان شاذاً(2). أما الكوفيون فقد توسعوا في السماع والقياس , ولعل طريقتهم في جمع الشعر واهتمامهم بالفقه نفسها في النحو , إذ يتضح اهتمامهم بالجمع بعيدا عن دقة النقل , قال الأصمعي : " أخبرنا شعبة قال : قلت للطرماخ : أين نشأت ؟ قال : بالسواد , والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة , ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله , وذلك بيّن في دواوينهم "(3) , فهم يحتجون بالمفرد الشاذ الذي لا نظير له في كلام العرب وأشعارهم .

(1) انظر : الأفعاني, في أصول النحو , ص6-31.

(2) انظر : ضيف , المدارس النحوية , ص46 – 47.

(3) أبو الطيب , عبد الواحد بن علي اللغوي (1974). مراتب النحويين , تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم , القاهرة : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها , ص74.

(4) انظر: الأنباري , كمال الدين أبو البركات النحوي (2003). الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين , ط1 ,

بيروت : المكتبة العصرية , ج1: 173.

ثانيا : التنافس العلمي وإثبات الذات ؛ فالتنافس العلمي الذي صنعه الخلفاء العباسيون الذين فضلوا النحاة بعضهم على بعض , وتقريبهم منهم زاد من حدة الخلاف (1) , كما أجروا المناظرات بينهم , ولعل الرواة كان لهم دور أيضا في اصطناع التنافس فنجد التحيز غالبا في آرائهم , فما نقله أبو الطيب اللغوي خير دليل فقال : " لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب , ولولا أن الكسائي (ت 189هـ) دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئا , وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل , إنا حكايات عن الأعراب مطروحة ؛ لأنه كان يلقنهم ما يريد , وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية " (2) .

ثالثا : توسع البصرة وازدياد سكانها ؛ وذلك بعد انحسار حركة الفتح الإسلامي , وتقلص الغنائم أدى إلى زيادة الفقر فاضطر قسم كبير من سكانها إلى البحث عن لقمة العيش , مما دفع حاكم البصرة إلى الشكوى للخليفة عمر بن الخطاب من كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم , إذ لا يمكن معالجة هذا العجز إلا بنقل بعض أراضي الكوفة الخراجية إليهم , فوافق الخليفة رضي الله عنه على كره من أهل الكوفة (3) .

رابعا : العصبية الإقليمية ؛ وهي نتيجة الأحداث الأخيرة من زمن الخلافة الراشدة , بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - , إذ خرجت سيدتنا عائشة والزبير من مكة إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان , وخرج علي - رضي الله عنه - إلى الكوفة وتولى الخلافة فيها, فشبت نار الفتنة بين البصرة - وهي عثمانية الولاء - والكوفة بقيادة علي - رضي الله عنه - , فحدثت معركة الجمل (36هـ) التي هزمت بها سيدتنا عائشة - رضي الله عنها - ومناصروها من أهل البصرة (4) . خامسا : الثقافة وطريقة التفكير ؛ فلعل نشاط حركة الترجمة عن الفرس واليونانيين , والانفتاح عليهم في البصرة , أعطاهما الطابع المتمدن بخلاف ما نجد في الكوفة التي ظلت تعتنى بجمع الأشعار والفقهاء , فحافظت على طابع البادية , والفكر التعصبي (5) .

(1) انظر : أبا الطيب , مراتب النحويين , ص 74 - 75 .

(2) المصدر السابق , ص 74 .

(3) انظر : قاسم , عون الشريف (1972م) . شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السياسة والاجتماع , بيروت: دار الثقافة , ص 13 .

(4) انظر : المصدر السابق , ص 19-20 .

(5) انظر : زكي , أحمد كمال (1971م) , الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري , القاهرة : دار

المعارف , ص 106 - 107 .

ولقد تجلت لهذا الخلاف آثار عظيمة من خلال وضع القوانين الضابطة للحركة الإعرابية بكل دقة وإرساء قواعد السماع والتعليل والقياس , وتقسيم النحو وإظهار أصوله وفروعه , ووضع المسميات والمصطلحات لمفردات النحو كمصطلح النقل ومنه تفرع (التواتر) و(الأحاد)⁽¹⁾, وإظهار أهمية القراءات في الاحتجاج وتعدد الوجوه الإعرابية , إذ ساعد الخلاف في انتشار النحو وظهور ما يسمى بالمذهب البغدادي , ومن أصحابه ابن كيسان (ت299هـ) والزرجاني (ت339هـ) وابن السراج (ت316هـ) , والمذهب الأندلسي ومن أصحابه ابن عصفور (ت669هـ) وأبو حيان (ت745هـ) والسخاوي (ت643هـ) , واستمرت الدراسة النحوية إلى عصرنا الحاضر على ما أرساه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) من نظرية العامل وضوابط الاحتجاج كالسماع والقياس والعلل.⁽²⁾

ولعل من أوسع الآثار الناشئة عن الخلاف هو تعدد الوجوه الإعرابية في المسألة اللغوية الواحدة , وفي ما يأتي أهم الأسباب التي أدت إلى تعدد الوجوه الإعرابية .

أما السبب الأول فهو الحفاظ على شكل الكتابة القرآنية , ولعل ما ذكره الفراء في كتابه معاني القرآن عن اختلاف الفراء في قوله تعالى : { إن هذان لساحران } طه : 63 خير دليل , إذ قال : " قال بعضهم : هو لحن ولكنا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب "⁽³⁾, وقال أيضا عندما سئلت عنها سيدتنا عائشة رضي الله عنها فقالت : " يا ابن أخي هذا كان خطأ من الكتاب "⁽⁴⁾ , وللحفاظ عليه ذهب النحاة إلى تخريجه بعدة وجوه , فهو كلام الله المنزل المنزه عن الخطأ .

(1) انظر : النواجي , أشرف ماهر محمود (2001) . مصطلحات علم أصول النحو دراسة وكشاف معجمي , القاهرة :

دار غريب , ص80-82 . الأحاد : ما انفرد بنقله بعض أهل اللغة ولم يكتمل به شرط التواتر . و شرط التواتر : هو

أن يبلغ عدد الناقلين إلى حد ينفي شك الاتفاق على الكذب .

(2) انظر : الأفغاني , في أصول النحو , ص6-31 .

(3) الفراء , أبو زكريا يحيى بن زياد (1983) . معاني القرآن , ط3, بيروت : عالم الكتب , ج2: 183 .

(4) المصدر السابق .

أما السبب الثاني فهو تعدد اللهجات العربية المحتج بها , إذ يتخرج قوله تعالى : { إن هذان لساحران } على أنّ (هذان) اسم (إنّ) منصوب علامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ؛ لوجود لهجة عربية تنسب إلى عدة قبائل منها : بلحارث بن كعب وختعم وزبيد , وكنانة التي تستعمل المثني بالألف دائماً⁽¹⁾, فتقول : (جاء الرجلان) و (مررت بالرجلان) , و (رأيت الرجلان). أما السبب الثالث فهو تعدد القراءات القرآنية , فلا نجد إلّا وجهاً واحداً في قراءة من قرأ { إنّ هذين لساحران } , وتتعدد الوجوه الإعرابية في قراءة من قرأ { إنّ هذان لساحران } وهي قراءة حفص⁽²⁾, وقد يكون قبول السياق للتأويل سبباً أيضاً فقد جاز إهمال (إنّ) على أنها نافية واللام بمعنى (إلا) فتقول : (ما هذان إلا ساحران)⁽³⁾, وهذا التأويل مقترن بالسياق إذ وجب عمل (إنّ) في قوله تعالى : { وَإِنْ كُنَّا لَأَيُّؤَيِّئُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالُهُمْ }⁽⁴⁾ لعدم قبول السياق للتأويل.

وقد يكون لتعدد الروايات أثر في تعدد الوجوه الإعرابية ومن ذلك قول الشاعر :

وَيَوْمًا ثَلَاثِينَ بَوَّجَهُ مُقَسِّمٌ كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلْمِ⁽⁵⁾

فقد روي البيت برفع (ظبية) وجرها ونصبها لنجد في كل رواية وجهاً إعرابياً , فالرفع على أنّها خبر (كأن) واسمها محذوف , والجر على أنّها مجرورة بالكاف و (أنّ) زائدة بين الجار والمجرور , والنصب على أنّها اسم (كأن) والخبر محذوف والتقدير " كأنّ ظبية عاطية إلى وارق السلم هذه المرأة "⁽⁶⁾.

-
- (1) انظر : ياقوت , محمود سليمان (1999). النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم , الكويت : دار المعرفة الجامعية , ص 89., وانظر : موسى , نهاد (1984) . اللغة العربية وأبنائها , أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية , الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر , ص 26.
- (2) انظر : ابن هشام , أبا محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (2004) , مغني اللبيب عن كتب الأعراب , تحقيق : صلاح عبد العزيز علي السيد , ط1, القاهرة : دار السلام , ج 1: 35.
- (3) انظر : ياقوت , محمود سليمان (1999). النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم , الكويت : دار المعرفة الجامعية , ص 89.
- (4) سورة هود : 111.
- (5) المكودي , أبا زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح (1993). شرح المكودي على الألفية , تحقيق : فاطمة راشد الراجحي , الكويت : جامعة الكويت , ج 1 : 241.
- (6) الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 164.

وهكذا نجد أنّ تعدد الوجوه الإعرابية ملازم الخلاف النحوي , فهو ناتج عن عدة عوامل تاريخية , إذ تتخذ العوامل التاريخية أبعادا ثلاثة : بُعدا مكانيا يتمثل بتعدد اللهجات العربية المحتج بها , وبُعدا زمنيا يتمثل في أنّ النحويين اتسعوا في استقراء العربية على مدى ثلاثة قرون تقريبا , وبُعدا منهجيا تمثل في اختلاف طرائق النظر النحوي⁽¹⁾.

(1) انظر : موسى : اللغة العربية وأبنائها , ص40.

الفصل الثالث

الخلافا في عمل الحروف المشبهة بالفعل

الفصل الثالث: الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل.

الحروف المشبهة بالفعل : هي الحروف الستة المتكونة من (إنّ , و أنّ , وكأنّ , ولكنّ , ولعلّ , وليت) , ولقد تشابهت هذه الحروف مع الفعل التام في خمسة وجوه , وهذا ميزها عن (ما ولا) المشبهتين بالفعل الناقص (ليس) , أما الأول: فهو بناء آخر هذه الحروف على الفتح مثل الفعل الماضي (لعب ودرس) , أما الثاني : فاتصالها بنون الوقاية إذا دخلت عليها ياء المتكلم كالأفعال , فتقول (إنني و لكنني) كقولك (ساعدني و أعطاني) , أما الثالث : فهو تركيبها الثلاثي والرابعي فتقول (أنّ و كأنّ) كقولك (ذهب ودحرج) , أما الرابع : فكونها على معنى الفعل (إنّ وأنّ) بمعنى أكدّت , و(كأنّ) بمعنى أشبهه , و(لكنّ) بمعنى أستدرك , و(لعلّ) بمعنى أرجو , و (ليت) بمعنى أتمنى , أما الخامس : فافتضاؤها الاسم كما الفعل يقتضي الاسم⁽¹⁾ , ولقد ذُكر أيضا وجه آخر عن شبه هذه الحروف الفعل وهو "أنها تخفف من مضعفها"⁽²⁾ . ويرى ابن عصفور(ت 669هـ) أنها تعمل لاختصاصها بالأسماء كالفعل يختص بالأسماء في العمل, ويرى أيضا أن عوامل الأفعال لا تدخل على الأسماء , ويرى أنها ليست جزءا مختصا ؛ وذلك لنمیزها من الحروف المختصة التي كالجزم من الفعل مثل (لقد وسوف والسين)⁽³⁾.

وشغل عمل الحروف المشبهة بالفعل كلتا المدرستين البصرية والكوفية , إذ انصب الخلاف في المسائل الفرعية لا الأصول , فمنها ما يهتم بشكل الكتابة وترتيب الكلام , وآخر يهتم بتأويل سبب ظهور النصب والرفع بعدها ؛ وبهذا اشتمل الخلاف هذه الحروف حتى نضوجها ليقطفها دارسو النحو متمثلة بأراء مدعمة بشواهد متفق على صحة الاستشهاد بها , إذ كان الشاهد مقترنا بزمان ومكان محددین , وعليه قسمت الخلاف إلى مسائل متفرقة لدراستها.

(1) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 145 .

(2) الموصلي , الشيخ عبد العزيز بن جمعة (2000). شرح كافية ابن الحاجب , تحقيق علي الشمولي , إربد : دار الكندي , ج2: 636.

(3) ابن عصفور , علي بن مؤمن بن محمد بن علي(1982). شرح جمل الزجاجي الشرح الكبير , تحقيق : صاحب أبو جنات , العراق : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية إحياء التراث الإسلامي , ج 1 : 422.

المسألة الأولى: الخلاف في عامل رفع خبر (إنّ) وأخواتها:

ذهب الكوفيون إلى أن (إنّ) وأخواتها لا ترفع الخبر , نحو (إنّ الجو لطيف) , أما البصريون فذهبوا إلى أنها ترفع الخبر⁽¹⁾. والأصل عند الكوفيين في هذه الحروف ألا تعمل النصب ولكنها عملت النصب ؛ لأنها أشبهت الفعل, فهي فرع عليه والفروع أضعف من الأصول كما هو معروف ؛ ولذلك لم يجيزوا عملها في الخبر حتى لا يسوّى بين الفرع والأصل في العمل⁽²⁾. واستدلوا أيضا على ضعف عملها بأنه يدخل على الخبر ما يدخل على الفعل لو ابتدئ به⁽³⁾, قال الشاعر :

لا تتركني فيهم شطيرا إني إنّه أهلك أو أطيرا⁽⁴⁾

واستشهدهم هنا بعمل (إنّ) - المسبوقة بـ (إني) والذي هو بالأصل حرف جواب- في الفعل المضارع ونصبه , فكان عملها دليلا على ضعفها في رأيهم , واعتمد جماعة من النحاة على ظاهر اللفظ في تخريجهم إذ جعلوا جملة (إنّ أهلك) في محل رفع خبر (إنّ) , وخرجه المحققون من النحاة على تقدير الخبر ليصبح الكلام (إني لا أحتمل. إنّه أهلك أو أطيرا) وجملة (إنّ أهلك) مستأنفة⁽⁵⁾.

واستدلوا أيضا على عدم عملها لضعفها بقول ناس: (إنّ بك زيد مأخوذ) فهم يرون أنها لم تعمل لضعفها وكأنها رضيت بالصفة (مأخوذ) , إذ يحكمون على ظاهر الكلام في أغلب شواهدهم , وقد خرج العلماء قولهم : (إنّ بك زيد مأخوذ) على تقدير اسم (إنّ) (ضمير الشأن) و (زيد) مبتدأ وخبره (مأخوذ) والجملة الاسمية من المبتدأ والخبر في محل رفع خبر (إنّ)⁽⁶⁾.

(1) انظر : ابن عقيل , بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني (1980) . شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك , ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل , تأليف : محمد محيي الدين عبد الحميد , ط20, القاهرة : دار التراث , ج1 : 348, وانظر : الأنباري ,

الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 144.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق , وانظر : ابن هشام (1987). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ومعه كتاب عدّة المسالك إلى تحقيق أوضح

المسالك , وهو الشرح الكبير من ثلاثة شروح تأليف : محمد محي الدين عبد الحميد , ط3, بيروت : دار إحياء العلوم , ج1 :

107-109.

(4) الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 144. إذ لم ينسبه الأنباري . وقد جاء في لسان العرب , ولم ينسبه ابن منظور .

والشطير- بفتح الشين - الغريب , انظر : ابن منظور , جمال الدين أبا الفضل محمد بن مكرم (2003). لسان العرب , تحقيق :

عامر أحمد حيدر , ط1, بيروت : دار الكتب العلمية , مادة (شطير) .

(5) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 144 .

(6) المصدر السابق , ج1: 145.

أما البصريون فاحتجوا بقوة مشابهة هذه الحروف الفعل ؛ فهي أشبهته لفظا ومعنى لتلتزم عملها من نصب ورفع ، فالمنصوب مشبه بالمفعول به والمرفوع بالفاعل ، وتقدم المنصوب على المرفوع لهذه الحروف ؛ لنستدل على أنها شبه الفعل لا الفعل محافظة على حرفيتها ، فكان تقدم المنصوب على المرفوع تسوية بين الرتب ، فرتبة هذه الحروف المتفرعة عن الفعل مع رتبة تقدم المفعول به على الفاعل المتفرعة عن الأصل ، وهي تقدم المرفوع على المنصوب ليتساوى الفرع بالفرع⁽¹⁾.

ولعل ما ذهب إليه الكوفيون في رافع خبر هذه الحروف بعيد ؛ وذلك يتضح باحتجاجهم بأن هذه الحروف فرع عن أصل ولم تعمل بالخبر ؛ لكي لا يُسوَّى بين الفرع والأصل ، إذ يبطل ذلك بعمل اسم الفاعل الذي يعمل عمل الفعل وله منصوب ومرفوع فتقول : "زيد ضارب أبوه عمراً ، كما تقول يضرب أبوه عمراً"⁽²⁾.

واستدلّاهم على ضعفها وإبطال عملها إذا فصل بينها وبين الاسم بشبه جملة ظرفية أو جار ومجرور مرفوض ، فقد عملت لشبهها الفعل نحو قوله تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلشَّعْرَاءِ } :8 ؛ فهي قد عملت لتفرُّعها عن الفعل وقد لزم تقدم المنصوب على المرفوع حتى لا يسوَّى بينهما⁽³⁾ ، أما تقدم شبه الجملة فهو جائز كما يتقدم الخبر - شبه الجملة - على المبتدأ وجوبا⁽⁴⁾.

(1) انظر : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1: 145 ، وانظر : المكودي ، شرح المكودي على الألفية ، ج1: 122-123 .

(2) الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 1: 146 .

(3) انظر : الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 1: 146.

(4) انظر : أبا العرفان ، محمد بن علي الصبان(19-) . حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، ج 1 : 306 .

و جاء في شرح قطر الندى "إذا كان الخبر ظرفاً , أو جاراً ومجروراً ؛ فإنه يجوز فيهما أن يتوسط ؛ لأنهم قد يتوسعون فيهما ما لم يتوسعوا في غيرهما "(1)

ويعلل الشيخ عبد العزيز بن جمعة الموصلي في شرح كافية ابن الحاجب سبب تقديم المنصوب على المرفوع بثلاثة أسباب : " أولاً : للتنبيه على أن عملها فرع على الفعل , ثانياً : لئلا يتصل بها ضمير المرفوع البارز الذي لا يتصل إلا بالفعل , ثالثاً : لئلا يلتبس بالأفعال لأنها أشبهتها لفظاً ومعنى ولا يكفي عدم التصريف فارقاً لأن من الأفعال ما لا يتصرف"(2).

واحتجاجهم بترافع الخبر والمبتدأ مع دخول هذه الحروف عليها ونصب المبتدأ , فلا خلاف من زوال الترافع بينهما , قولهم : إن الخبر باق على ما ارتفع به قبل دخول هذه الحروف مع زوال العامل ضعيف ؛ لأنه يصبح للخبر عاملان وهذا مستحيل(3).

واستدلّاهم على ضعف هذه الحروف بأنه يدخل على الخبر ما يدخل على الفعل لو ابتدئ به بقول الشاعر : (إني إذن أهلك أو أطيّر) ؛ ففيه ضعف من ثلاثة وجوه : أما الأول فهو شذوذ هذا الشاهد , وقد عرف عن الكوفيين استشهادهم بالشواذ والأخذ بها , أما الثاني فهو تقدير الخبر المحذوف إذ يصبح السياق (لا تتركني فيهم غريباً إنني أذل , إذن أهلك أو أطيّر) وحذف الفعل (أذل) - وهو الخبر- لدلالة الثاني عليه (إذن أهلك) , وهكذا لم تدخل إذن على الخبر , وأما الثالث فشبهه (إذن) ب (لن) وجعل الجملة موضع الخبر كقولك : (إني لن أعب). (4)

ولقد أجاز الفراء (ت 207هـ) في حديثه عن (إذن) ووقوعها مع الفعل المضارع بعد (إنّ) في المضارع الرفع أو النصب , وكل منهما لغة من لغات العرب مما يدل على شذوذ هذا الاستشهاد واختصاصه بلغة قوم معينة(5).

(1) ابن هشام (1997) . شرح قطر الندى وبل الصدى , تحقيق : محمد خير طعمه الحلبي , ط2 , بيروت : دار المعرفة , ص130 , وانظر : سيوييه , أبا بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1988) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ط3 , القاهرة : مكتبة الخانجي , ج2: 131 , وانظر : الزجاجي , أبا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (1984). الجمل في النحو , تحقيق : علي توفيق الحمد , ط1 , إربد : دار الأمل , ص52.

(2) الموصلي , شرح كافية ابن الحاجب , ج2 : 636.

(3) الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 146.

(4) المصدر السابق , ج1: 144-145.

(5) الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 145.

المسألة الثانية: الخلاف في نصب خبر الحروف المشبهة بالفعل :

أجاز الكوفيون أن تعمل الحروف المشبهة بالفعل بالنصب لخبرها ثم اختلفوا فيها , فذهب الفراء (ت207هـ) إلى جواز النصب في (ليت) دون سائر أخواتها⁽¹⁾ , وخصه الأخفش (ت211هـ) في (كأنّ و لعلّ و لكنّ)⁽²⁾ , وأما ابن سَلَمَ الجمحي (ت232هـ) فذهب إلى جوازه فيها كلها على أنها لغة قوم رؤبة⁽³⁾ , أما البصريون فلم يجيزوا ذلك وهو مذهب الكسائي (ت189هـ)⁽⁴⁾.

واحتجّ الكوفيون بما نقل من كلام العرب كقولهم : "ليت القياس كلّها أرجلا"⁽⁵⁾ ومنه أيضا قول الشاعر :

إذا التفّ جُنْحُ الليل فلتأتِ ولتكنّ خطاك خفافا إنّ حرّاسنا أسدا⁽⁶⁾

وقول الشاعر:

" يا ليت أيامَ الصبّا رواجعا"⁽⁷⁾

وقول الشاعر:

كأنّ أذنيه إذا تشوّفا قادمة أو قلما محرّفا⁽⁸⁾

-
- (1) انظر : المرادي , الجنى الداني , ص492.
 (2) المصدر السابق.
 (3) انظر : ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج1 : 424.
 (4) انظر : البغدادي , عبد القادر بن عمر (1981). خزنة الأدب ولب أبواب لسان العرب , تحقيق : عبد السلام هارون , ط2, القاهرة : مكتبة الخانجي , ج10 : 234.
 (5) المصدر السابق , ج10 : 236. والشاهد هنا على نصب (ليت) للخبر (أرجلا) والقياس جمع قوس , ورجل القوس هو الجزء الذي ينحني عن يسارك عندما ترمي بها .
 (6) انظر : السيوطي , جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (1998) . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع , تحقيق : أحمد شمس الدين , بيروت : دار الكتب العلمية , ج1 : 431. و نسب إلى عمر بن أبي ربيعة , وعقب السيوطي على أنه غير موجود في ديوانه , والشاهد فيه على نصب (إنّ) للخبر (أسدا).
 (7) المالقي , أحمد بن عبد النور (2005). رصف المباني في شرح حروف المعاني , أحمد محمد الخراط , دمشق : مجمع اللغة العربية , ص298. والشاهد هنا على نصب (ليت) للخبر (رواجعا).
 (8) انظر : ابن عقيل , شرح ابن عقيل , ج1 : 347, وانظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10 : 237. نسب البيت للعَماني الفقيمي , والشاهد هنا على نصب كأنّ للخبر (قادما). ومعنى تشوّفا : انتصبا , قادما : المفرد من قوادم وهي من أوائل الريش في جناح الطير .

أما البصريون فلم يجيزوا نصب الحروف المشبهة بالفعل لخبرها , إذ خرجوا هذه الشواهد كلها على حذف الخبر الذي دلّ عليه السياق وهو الأرجح . أما قولهم : (ليت القياس كلها أرجلا) ففيه تخريجان وهما نصب (أرجلا) على تقدير الخبر المحذوف وهو (أجدها) لتصبح المفعول الثاني للفعل , أو على تقدير الفعل الناقص (كان) وهو مذهب الكسائي(ت189هـ) , والتقدير (ليت القياس كلها كانت أرجلا) , قياسا على شيوع هذا التركيب وخاصة في سياق (ليت)⁽¹⁾ , ومنه قوله تعالى: { يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ } الحاقة : 27 , وقوله تعالى : { يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً } النساء : 73 , وقول الشاعر :

يا لَيْتَهَا كانت لأهلي إبلا أو هُزلت في جَدْب عامٍ أوّلا⁽²⁾

أما تخريج قول الشاعر : (يا ليت أيام الصبا رواجعا) فهو على أن رواجعا حال والتقدير: "يا ليت لنا أيام الصبا رواجعا"⁽³⁾ أو على تقدير "يا ليت أيام الصبا أقبلت رواجعا"⁽⁴⁾ , وهو مذهب سيبويه (ت180هـ) والجمهور , وذهب الكسائي (ت189هـ) إلى أن تكون (رواجعا) خبرا للفعل الناقص (كان) والتقدير : (يا ليت أيام الصبا كانت رواجعا)⁽⁵⁾.

أما تخريج قول الشاعر : (إنّ حراسنا أسدا) فهو على تقدير الخبر أي (إنّ حراسنا تلقاهم أسدا) , و(أسدا) حال منصوب⁽⁶⁾ , ويصح أيضا على تقدير (إنّ حراسنا ما زالوا أسدا) , فتصبح - أسدا- خبرا منصوبا.

(1) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج 10 : 234.

(2) انظر : ابن منظور , لسان العرب , مادة (وأل). ولم ينسبه ابن منظور , والشاهد فيه مجيء الفعل الناقص (كان) خبرا.

(3) البغدادي , خزنة الأدب , ج 10 : 234.

(4) المصدر السابق.

(5) المصدر السابق.

(6) المصدر السابق , ج 10 : 242.

أما قول الشاعر : (كأنّ أذنيه إذا تشوّفاً قادمة) ففيه لحن على الأرجح , وهذا ما أوردته الروايات المذكورة فيه , إذ أنشده العُماني أمام الرشيد يصف فرسا , وعلم الحاضرون أنه لحن ولم يصحّحوه , فردّه الرشيد بقوله : قل : (تخال أذنيه إذا تشوّفاً) ؛ ليستقيم الشعر⁽¹⁾ , ويُخرّج على حذف الخبر وقادمة مفعول به منصوب فالتقدير : "كأنّ أذنيه إذا تشوّفاً يحيكان قادمة"⁽²⁾ .

ولعل ما ذهب إليه البصريون هو الأرجح ؛ وذلك لقبول الحروف المشبهة بالفعل لحذف خبرها إذا دلّ عليه السياق, كقول الشاعر :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلًا وَإِنَّ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًا⁽³⁾

أما المنصوب الثاني - خبر (إنّ) - الذي احتج به الكوفيون فقد صح , ولكنه على لغة قوم بعينها , فقال الدينوري(ت 282هـ)⁽⁴⁾: إن لبيت تنصب الجزأين في لغة بني تميم , وذهب ابن سلام الجمحي (ت 232هـ) إلى أنها لغة روبة وقومه , ولعل تنصب الجزأين في لغة بني تميم⁽⁵⁾ , كقولك: "لعلّ زيدا أخانا"⁽⁶⁾ , و لم ترد الشواهد في نصب الجزأين إلا في أربعة حروف وهي: (إنّ وكأنّ و لعلّ و لبيت)⁽⁷⁾ ليقصر الخلاف على لغة لا قياس عليها لقلة شيوخها.

(1) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10 : 237-238.

(2) المصدر السابق , ج10: 239.

(3) انظر : الأعرشي , ميمون بن قيس بن جندل(1927).الصبح المنير في شعر أبي بصير , القاهرة : مطبعة أدلف هلز هوستن , ص150, وانظر :المالقي , رصف المباني , ص119, وانظر : ص298. ونسب البيت للأعرشي , والشاهد في قوله : (إنّ محلا) محذوفة الخبر , والتقدير (إنّ لنا في الحياة محلا وإن لنا عنها مرتحلا) .

(4) هو أبو حنيفة أحمد بن داود , ألف كتاب النبات الذي رتب فيه النباتات على حروف المعجم , واهتم بكل ما قيل فيها نثرا وشعرا حتى أواخر القرن الثالث.

(5) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10: 235-236 .

(6) السيوطي , همع الهوامع , ج1: 432.

(7) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10: 242.

المسألة الثالثة : القول في العطف على اسم (إنّ) بالرفع قبل مجيء الخبر:

منع البصريون العطف على اسم (إنّ) بالرفع قبل مجيء الخبر , وأجازوه الكوفيون ولكنهم اختلفوا بعد ذلك , فذهب أبو الحسن الكسائي (ت 189هـ) إلى جواز العطف سواء أكان الاسم ضميراً لا تظهر الحركة فيه كقولك : (إنك وسيف تدرسان) أم اسماً بشرط الحركة كقولك : (إنّ خالدًا وسيفٌ موجودان)⁽¹⁾ , أما الفراء (ت 207هـ) فأجاز - إذا لم يتقدم الخبر - أن لا تظهر العلامة الإعرابية كقولك : (إنك وخالد مجتهدان) ؛ وذلك لعدم ظهور العلامة الإعرابية في ضمير المخاطب (ك)⁽²⁾.

واحتج الكوفيون على صحة ذلك من خلال النقل والقياس , أما النقل فقوله تعالى : { إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى } المائدة : 69 . وأما القياس فكما ذكره أبو البركات الأنباري (ت 577هـ) في قوله : "أجمعنا على أنه يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر مع لا , نحو (لا رجلَ وامرأةً أفضلُ منك) فكذلك مع (إنّ) لأنها بمنزلتها"⁽³⁾ فهم يحملون المتضادات على بعضها ف(لا) للنفي و(إنّ) للتأكيد , إذ لا يفرقون بينهما في العمل , وكان الإجماع على العطف بالرفع بعد تمام الخبر , فحملوا ذلك على ضده أي قبل تمام الخبر , وضعف عمل (إنّ) في الخبر وعدم عملها فيه - في رأيهم - أجاز العطف قبل مجيء الخبر وبعده⁽⁴⁾.

(1) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 151.

(2) انظر : ابن هشام , أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ج 1 : 108.

(3) الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 151.

(4) المصدر السابق.

أما البصريون فذهبوا إلى عدم اجتماع عاملين في الاسم الواحد فلو قلنا : (إِنَّكَ وَعَلِيٌّ ذَاهِبَانِ) وجب رفع (علي) على الابتداء وهو عامل بالخبر , و(إِنَّ) عملت النصب بضمير المخاطب المتصل (ك) وهي أيضا ترفع الخبر فلذلك لا يجوز العطف بالرفع إلا بعد تمام الخبر للثاني (علي)⁽¹⁾.

و لا يجوز العطف على اسم (إِنَّ) بالرفع قبل مجيء الخبر في أي حال , كما قال ابن مالك في ألفيته :

وَجَائِزٌ رَفْعُكَ مَعْطُوفًا عَلَى مَنصُوبٍ إِنْ بَعْدَ أَنْ تَسْتَكْمِلَا⁽²⁾

واحتجاج الكوفيين بقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى } المائدة : 69 . يبطل من ثلاثة وجوه أما الأول ففي التقديم والتأخير, إذ تصبح الآية (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى كَذَلِكَ)؛ لإظهار مدى رحمة الله عز وجل على عباده الظالمين حتى لو كانوا هودا أو نصارى مع أنهم أشد ظلما لخروجهم عن الأديان⁽³⁾, أما الوجه الثاني فهو أن تجعل (آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا) خبرا للصابئين والنصارى وتضمير مثله للذين آمنوا والذين هادوا , أما الوجه الثالث فهو أن تعطف الصابئين والنصارى على ضمير الرفع للجماعة في هادوا التي بمعنى (تابوا).⁽⁴⁾

(1) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 152.

(2) المكودي , شرح المكودي على ألفية ابن مالك , ج 1 : 233.

(3) انظر : ابن الناظم , أبا عبد الله بدر الدين محمد (2000) . شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك , تحقيق : محمد باسل عيون السود , ط 1, بيروت : دار الكتب العلمية , ص 127.

(4) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 152 - 155.

واحتجاج الكوفيين بقول الشاعر :

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَيَأْتِي وَ قِيَّارٌ بِهَا لَعْرِبٌ⁽¹⁾

على رفع (قيار) بعطفه على محل اسم (إن) قبل مجيء الخبر , وضعف احتجاجهم يكمن في تقديم الخبر (لغريب) واللام المزحلقة لا تتأخر بل تقول (لغريب قيار) ولهذا البيت إجابتان , أما الأولى فهي : أن تكون الواو للاستئناف وعليه يكون (قيار) قد رفع بالابتداء مع إضمار خبره (موجود) , أما الثانية فأن يكون (لغريب) خبرا (لقيار) والجملة الاسمية معطوفة على موقع جملة (إن)⁽²⁾ , وجاء في المحلى لأحمد بن حسن البغدادي (ت 317هـ) أن النصب أجود إذ قال : "وقد نصبه قوم وهو أجود . إنما رفعه لأنه توهم على بُعد الخبر على قول : إنه لغريبٌ وقيارٌ بها"⁽³⁾ .

ولقد ذكر الفراء مجيء (قيار) بالنصب وجوازه بالرفع لأنه معطوف على ضمير وأنشده بالنصب قائلا:

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَيَأْتِي وَ قِيَّاراً بِهَا لَعْرِبٌ⁽⁴⁾

مما يضعف القول برفع (قيار) ؛ على أنها لغة من لغات العرب , وهكذا اختلفوا في هذه المسألة , ونصب الفراء لـ (قيار) وهو معطوف على ضمير يؤكد قوة النصب وضعف ما ذهب إليه الكوفيون.

(1) السنهوري , علي بن عبد الله بن علي نور الدين (2006). شرح الأجرومية في علم العربية , تحقيق : محمد خليل عبد العزيز شرف , ط1, القاهرة : دار السلام , ج1: 312.

(2) المصدر السابق , ج1 : 312-313. وانظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 153-155.

(3) البغدادي , أبو بكر بن الحسن بن شقير النحوي (1987) . المحلى في وجوه النصب , تحقيق : فائز فارس, ط1, إربد : دار الأمل , ص104.

(4) الفراء , معاني القرآن , ج1: 311.

المسألة الرابعة: القول في (إن) : أمخففة من الثقيلة أم نافية ؟

إذا دخلت (إن) المخففة من الثقيلة على الجملة الاسمية جاز إعمالها عند البصريين خلافا للكوفيين⁽¹⁾ الذين احتجوا بأن قالوا : "إنما قلنا إنها لا تعمل لأن المشددة إنما عملت لأنها أشبهت الفعل الماضي في اللفظ ؛ لأنها على ثلاثة أحرف كما أنه على ثلاثة أحرف ، وإنها مبنية على الفتح كما أنه مبني على الفتح ، فإذا خففت زال شبهها به ، فوجب أن يبطل عملها"⁽²⁾ ومنهم من ذهب إلى إبطال عملها للتفريق بينها وبين المشددة ؛ لأن المشددة - في رأيهم - من عوامل الأسماء والمخففة من عوامل الأفعال ؛ فينبغي ألا تعمل المخففة في الأسماء كما لا تعمل المشددة في الأفعال ؛ لأن عوامل الأفعال لا تعمل في الأسماء ، وعوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال .

أما البصريون فاستدلوا على جواز عملها-على قلة في الأسماء- بقوله تعالى : { وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ } هود : 111 . وهي "قراءة أهل المدينة ، ووردت القراءات الأخرى برفع (كل) وإهمال (إن)"⁽³⁾ ، إذ لا يجيزون نصب (كلأ) بالفعل (ليوفينهم) ؛ وذلك لاتصاله بلام القسم التي تمنعه من العمل فيما قبلها ، ويجدون ذلك خلافا للقياس إذ قالوا : "ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : (زيدا لأكرمن ، وعمرا لأضربن) (فتنصب زيدا ب (لأكرمن) و عمرا ب (لأضربن) فكذلك ها هنا : لا يجوز أن يكون (كلأ) منصوبا ب (ليوفينهم)"⁽⁴⁾.

(1) انظر : ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ج 1: 34.

(2) الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 1: 159.

(3) أبو الفتوح ، محمد شريف (1993) . التركيب النحوي وشواهده القرآنية ، القاهرة : مكتبة الشباب ، ج 1: 367.

(4) الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج 1: 159.

وهذا رد على قول الكوفيين : إن " (إن) هذه نافية لا مخففة ، واللام بعدها بمعنى (إلا)

وأجازوا دخولها على سائر الأفعال" (1).

واستدل البصريون على امتناع مجيء (لَمَّا) بمعنى (إِلا) ؛ وذلك لمخالفة القياس إذ قالوا : "لو جاز أن تجعل (لَمَّا) بمعنى (إِلا) لجاز أن يقال : ما قام القوم لَمَّا زيدا , وقام القوم لَمَّا زيدا , بمعنى إنا زيدا" (2)

ويعلل أبو البقاء العُكبري (ت616هـ) سبب فساد رأي الكوفيين بقوله : " لا يجوز أن يكون بمعنى (ما) , وأن ينصب (كلاً) بفعل مقدر" (3) ؛ وذلك لو قدر من جنس المذكور بعدها فسد المعنى , لأنه يصير : (ما يوفى كلاً أعمالهم) , وإن قدرته من غير جنسه ذهب معنى القسم في (لنوفينهم) , إذ يصبح التقدير (ما نهمل كلاً) ؛ لأن (لَمَّا) لا تكون بمعنى (إِلا) في غير القسم (4).

وإثبات عمل (إن) المخففة من الثقيلة في هذه الآية كان كفيلاً في إبطال ما جاء به الكوفيون من وجهة نظر البصريين , ولو أردنا القول بقول الكوفيين والأخذ بالمتضادات فقد ثبت عملها عمل ليس بقوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُمْتًا لَكُمْ} الأعراف : 193 . والتخريج : (إن) نافية عاملة عمل ليس , و(الذين) : اسمها , و(عبادا) : خبرها منصوب , (أمثال) : نعت منصوب.

ومن كلام العرب ما سمع من أهل العالية: "إن أحدٌ خيراً من أحدٍ إلا بالعافية" (5) , وجاءت مهملة وعاملة بقولهم : "إن قائمٌ وأصله , إن أنا قائمٌ , وسُمع إن قائمًا" (6).

(1) انظر : المرادي , الحسن بن قاسم (1992). الجنى الداني في حروف المعاني , تحقيق : فخر الدين قباوة , ط1, بيروت : دار الكتب العلمية , ص209.

(2) الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1 : 160.

(3) العُكبري , أبو البقاء عبد الله بن الحسين (1995) . اللباب في علل البناء والإعراب , تحقيق : غازي مختار طليمات , بيروت : دار الفكر المعاصر , ج1 : 221.

(4) المصدر السابق.

(5) ابن هشام , مغني اللبيب عن كتب الأعراب , ج1 : 34. أهل العالية ما فوق نجد إلى تهامة , وما وراء مكة وما ولاها.

(6) المصدر السابق.

وجواز عملها نافية - على التضاد - يُجيز عملها مؤكدة في اعتقادنا , وما جاء في كتاب الله وتنزيله ومن كلام العرب على استعمال (إن) عاملة خير دليل على جواز عملها المقترن بسياقها ومعناها الذي يُراد منها.

ولتعدد القراءات القرآنية والمحافظة على شكل كتابة القرآن الكريم النابع من الوازع الديني دور مهم في تعدد الوجوه الإعرابية لهذه الآية , إذ جاء خلاف القراء في قوله تعالى : {إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ} طه : 63 . و"قرأ أبو عمرو {إنّ هذين لساحران} , واحتجّ أنه بلغه عن بعض أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم- أنّه قال : إنّ في المصحف لحن وستقيمه العرب"⁽¹⁾ , وذكر الفراء (ت207هـ) في كتابه (معاني القرآن) أيضا اختلاف القراء في هذه الآية فقال : "قال بعضهم : هو لحن ولكننا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب"⁽²⁾ , ويقول أيضا عندما سئلت عنها سيدتنا عائشة - رضي الله عنها - فقالت : "يا ابن أخي هذا كان خطأ من الكتاب"⁽³⁾ .

وجاء في المحلى أنّ ابن عباس قال : "إنّ الله تبارك اسمه أنزل القرآن بلغة كلّ حي من أحياء العرب فنزلت هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب , لأنهم يجعلون المثني بالألف في كلّ وجه مرفوعا , فيقولون : رأيتُ الرجلان , ومررتُ بالرجلان , و أتاني الرجلان , إنّما صار كذلك , لأنّ الألف أخفّ بنات المدّ و اللين"⁽⁴⁾ .

وهكذا تختلف وجوه الإعراب فيها فأما الآية الأولى بقراءة من قرأ {إنّ هذين لساحران} , فلا خلاف يظهر في عمل (إن) , ولكنّه يظهر في قراءة من قرأ {إنّ هذان لساحران} وقراءة حفص بتخفيف (إن) وقراءة "ابن كثير إلا أنه شدد نون (هذان)"⁽⁵⁾ .

(1) الفراء , معاني القرآن , ج2: 183.

(2) المصدر السابق .

(3) المصدر السابق .

(4) البغدادي , المحلى في وجوه النصب , ص106.

(5) ابن هشام , مغني اللبيب عن كتب الأعراب , ج1: 35.

ولتعدد اللهجات دور أيضاً في تعدد الوجوه الإعرابية لهذه الآية فيجوز عمل (إن) على أن (هذان) اسم منصوب علامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف منع ظهورها التعذر ؛ "لأنّ هناك لهجة عربية تُنسب إلى عدة قبائل منها : بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد , وكنانة تستعمل المثنى بالألف دائماً"⁽¹⁾ ولعل قبول السياق للتأويل كان سبباً في تعدد الوجوه الإعرابية لهذه الآية إذ جاز الإهمال على تأويل الكوفيين ليصبح (ما هذان إلا ساحران) ويخرج على إهمال (إن) : (إن) نافية لا محل لها من الإعراب , و(هذان) مبتدأ مرفوع بالألف , و(لساحران) خبر المبتدأ , ويجوز أن تأتي (إن) حرف جواب لا محل له من الإعراب . وبوجه آخر قد تكون (إن) , ليست حرفاً ينصب المبتدأ ويرفع الخبر ولكنها حرف جواب لا محل له من الإعراب بمعنى (أجل)⁽²⁾ .

وهكذا يظهر أثر السياق في الحكم على عمل (إن) أو إهمال عملها لتقبل حيناً الوجهين وحيناً يستوجب وجهاً واحداً كما في قوله تعالى : {وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لِيُوقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} هود : 111 . فهنا وجب العمل , ووجب الإهمال فيما سُمع من قول العرب : "إن قائمٌ لأنت"⁽³⁾ , لتبطل حجة الكوفيين في تعميم الإهمال كما اتضح عمل (إن) على قلة شيوع ذلك .

(1) ياقوت , النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم , ص 89.

(2) المصدر السابق . والتخريج

(3) ابن هشام , مغني اللبيب عن كتب الأعريب , ج 1: 35.

المسألة الخامسة: الخلاف في عمل (أن) المخففة من الثقيلة:

اختلف النحاة في عمل (أن) المخففة من الثقيلة، فذهب البصريون إلى جواز إعمالها بشروط ولم يجز ذلك الكوفيون، وهذا ما نص عليه المرادي (ت 749 هـ) في كتابه (الجنى الداني) فقال: "مذهب الكوفيين في (أن) المخففة أنها لا تعمل لا في الظاهر ولا في مضمرة. وقد أجاز سيبويه أن تُلغى لفظاً، وتقديراً، فلا يكون لها عمل" (1) وينفي الفراء (ت 207 هـ) سماعه تخفيف (أن) عند العرب (2).

استدل الكوفيون على عدم عمل (أن) المخففة بزوال مشابهتها الفعل من حيث البنية الثلاثية، فبرأيهم: أنها تندرج تحت عوامل الأفعال فلا تعمل في الأسماء (3)، وذكر الفراء في (معاني القرآن) في حديثه عن (أن) في سورة الجن ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ الجن: 16. أنه "ينبغي لمن كسر أن يحذف أن من لو؛ لأن (أن) إذا خففت لم تكن حكاية ألا ترى أنك تقول: أقول لو فعلت لفعلت، ولا تدخل (أن)" (4) وذهب الجوهرى (ت 393 هـ) إلى إهمالها بقوله: "فإنها تحذف كثيراً بعد لماً، وبين (لو) والقسم نحو: والله أن لو قام زيد قمت" (5).

أما البصريون فاحتجوا بقولهم: إنها أشبهت الفعل فعملت، والفعل يعمل إذا حُذِف أحد حروفه وذلك ما أورده السيرافي (ت 368 هـ) في (شرح أبيات سيبويه)، بعد إنشاده:

مُعْتَدٍ فَطَّ غَلِيظِ الْقَلْبِ كَأَنْ وَرَيْدِيَهُ رِشَاءِ خُلْبِ (6)

والشاهد فيه على عمل (كأن) المخففة النصب لاسمها و (وريديه) و (رشاء) : خبرها مرفوع بالألف لأنه مثنى، و (خلب) : مضاف إليه مجرور. و (الرشاء) : الحبل، و (الخلب) : البئر.

-
- (1) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 219.
 - (2) انظر: السنهوري، شرح الأجرومية في علوم العربية، ص 318.
 - (3) انظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج 1: 159.
 - (4) الفراء، معاني القرآن، ج 3: 192.
 - (5) الفوجوي، محمد بن مصطفى الفوجوي شيخ زاده (1997). شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: إسماعيل إسماعيل مروة، بيروت: دار الفكر المعاصر، ص 121.
 - (6) انظر: السيرافي، أبا محمد يوسف بن المرزبان (1996). شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد الريح هاشم، ط 1، بيروت: دار الجبل، ج 2: 69.

ذهب سيبويه (ت180هـ) إلى أن الكاف في (كأن) هي زائدة على (أن) , وتخفيف (كأن) لم يغيّر من أصل عملها , وكذلك الفعل لا يتغير عمله بحذف أحد حروفه كقولك : (ق) و(لم يقض) , وأعتقد أنّ السيرافي (ت368هـ) قد اتبعه ؛ إذ شرح أبياته ونقل رأيه (1). وهذا ما ذهب إليه الجمهور ولكنهم اشترطوا أن يكون اسمها ضمير شأن مضمرا خلافا لسيبويه (ت180هـ)(2) , إذ ذهب إلى أنه يجب أن لا يكون اسمها ضمير شأن , كقوله تعالى: {وَتَادِيَنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا } الصافات : 104 . فأجاز أن تكون مخففة واسمها ضمير المخاطب المُقَدَّر (3) أي أنك يا إبراهيم . أما عمل (أن) المخففة فقد ثبت على قلة والصحيح في ما استشهدوا به من شعر العرب على عمل (أن) مخففة واسمها غير ضمير الشأن - معظم ذلك - كان ضرورة شعرية , ومنه قول الشاعر:

فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي فِرَاقَكَ لَمْ أَبْخَلْ وَأَنْتِ صَدِيقٌ(4)

والشاهد فيه على عمل (أن) المخففة من الثقيلة , واسمها ضمير المخاطب(ك) , وخبرها الجملة الفعلية (سألتني فراقك) . ومنه أيضا قول الشاعر على رواية النصب:

وَيَوْمًا ثَلَاثِينَ بَوَّجَهُ مُقَسِّمٌ كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلْمِ(5)

والتخريج على أن (كأن) مخففة من الثقيلة وهي عاملة, و(ظبية) اسمها وخبرها محذوف , والجملة الفعلية مبنية في محل نصب نعت , والتقدير : " كأن ظبية عاطية إلى وارق السلم هذه المرأة".

ومنه أيضا :

بَأَنَّكَ رَبِيعٌ وَعَيْتٌ مَرِيعٌ وَأَنَّكَ هُنَاكَ تَكُونُ الثَّمَالَا(6)

والشاهد فيه على عمل (أن) باسمها ضمير المخاطب (ك) , وخبرها (ربيع) وهو اسم ظاهر.

(1) انظر : سيبويه , الكتاب , ج 2 : 140 , و انظر : السيرافي , شرح أبيات سيبويه , ج 2 : 69 .

(2) انظر : سيبويه , الكتاب , ج 3 : 165 - 167 .

(3) الخطاب , محمد بن محمد الرعيبي(1995) . الكواكب الدرية شرح الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل على متممة الأجرومية , دمشق : دار الفكر , ص 276 .

(4) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 166 , وانظر : الموصلي , شرح كافية ابن الحاجب , ج 2 : 652 . ولم ينسب البيت معظم النحاة والمحققون .

(5) انظر : المكودي , شرح المكودي على ألفية ابن مالك , ج 1 : 241 . وتعددت الأقوال في نسبته , فنسب إلى باعث بن صريم البشكري , وأرقم بن علياء البشكري , و كعب بن أرقم .

(6) البغدادي , خزنة الأدب ولب ألباب لسان العرب , ج 10 : 382 . ونسب البيت لجنوب بنت عامر الهذلية ترثي أخاها الملقب عمرا(ذا كلب).

أما استشهاد سيبويه (ت180هـ) بقوله تعالى : {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ .قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا } الصافات : 104. فهو ضعيف ؛ لأننا نجد الخطاب متضمنا في النداء ولعل تأويل ضمير الشأن أولى ؛ وذلك لتعظيم نداء الله عز وجل ؛ لما يتضمن من أهمية بالغة لسيدنا إبراهيم عليه السلام, فنحن نعرف قصة ابتلائه مع ولده سيدنا إسماعيل عليه السلام , وجاء النداء تفريجا عن محنة سيدنا إبراهيم في ولده , فحُقَّ له تلك العظمة والله أعلم.

وقد ذكر الفارسي (ت377هـ) الفرق بين (أن) التي تنصب الفعل و(أن) المخففة من الثقيلة في التعليقة على كتاب سيبويه فقال : "(علمت) موضع تثبیت وإيجاب فيقع بعده (أن) لأنها أيضا للتثبیت والإيجاب , و(أن) التي تنصب الفعل لا تكون للتثبیت أبدا , فلو وقع بعد (علمت) لكان كالنقيض"⁽¹⁾ , وعقب حديثه بتخصيص أكثر حيث جعل جواز النصب والرفع حسب المعنى المراد بعد (ظننت , وحسبت , وخلصت , ورأيت) , وجاء في كتاب السبعة في القراءات خلاف في قراءة قوله تعالى : {وَحَسِبُوا أَنْ لَّا تَكُونَ فِئْتَةً} المائدة : 71. فقرأ " ابن كثير ونافع وابن عامر (أن لا تكون) في النصب وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي : (أن لا تكون) رفعا ولم يختلفوا في رفع فتنة"⁽²⁾ , لنستدل على وجود لغتين من خلال القراءات , وذكر أبو البقاء العكبري (ت616هـ) تعليلا للعمل وحجة على قول الكوفيين : زوال الشبه لحذف أحد حروفها إذ قال : "أن المخففة إذا وليها فعل وحذف اسمها لا يخلو من عوض , والعوض هو (قد , والسين , وسوف , ولم , ولا , وليس)"⁽³⁾ .

-
- (1) الفارسي , أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي(1990). التعليقة على كتاب سيبويه , تحقيق : عوض بن حمد القوزي , الرياض : جامعة الملك سعود , ج2: 275.
- (2) ابن مجاهد(1972). السبع في القراءات , تحقيق : شوقي ضيف , القاهرة : دار المعارف , ص247 .
- (3) العكبري , اللباب في علل البناء والإعراب , ج1 : 221.

ونقل لنا ابن الناظم (ت 686هـ) في شرحه على ألفية ابن مالك شرحا لها أكثر وضوحا, فاشتراط أن يأتي بعدها فعل متضمن دعاء ومنه قراءة نافع⁽¹⁾ لقوله تعالى : { وَالْخَامِسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ } النور : 9. والتخريج (أن) مخففة من الثقيلة , و(غضب) اسمها منصوب , و(عليها) : شبه الجملة هي الخبر , أو متعلقة بالخبر المحذوف وتقديره (واقع). بكسر الضاد في (غضب) , أو فعل غير متصرف ك (ليس) أو متصرف مفصول بـ (قد) أو نفي بـ (لا أو لن) أو حرف تنفيس (س , سوف) أو (لو), ويشترط في خبرها أن يكون جملة اسمية أو فعلية.⁽²⁾

وهكذا يتضح جواز عمل (أن) المخففة من الثقيلة من خلال القراءات , فكان ما ذهب إليه الجمهور من إعمالها على قلة - باعتقادنا - أدق قولاً وأرجح ميزانا .

(1) ابن مجاهد , السبع في القراءات , ص 247.

(2) انظر : ابن الناظم , شرح ابن الناظم على الألفية , ص 130- 131.

المسألة السادسة : القول في عمل (كأن) المخففة من الثقيلة :

ذهب الكوفيون إلى أنّ (كأن) المخففة من الثقيلة لا تعمل النصب في الاسم ؛ وذلك لزوال شبهها بالفعل من حيث اللفظ⁽¹⁾ ، أما البصريون فحملوها على (إن) وأجازوا عملها⁽²⁾ . واستدلّ الكوفيون بقول الشاعر :

وَيَوْمًا ثَلَاقِينَا بَوَجْهِ مُقَسَّمٍ كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلْمِ⁽³⁾

وقد رويت (ظبية) بالكسر والنصب والرفع ، وخرجه النحاة بالكسر على أنّ (الكاف) حرف جر و(أنّ) زائدة بين الجار والمجرور ، وظبية اسم مجرور بالكاف ، والجملة الفعلية (تعطو) في محل جر نعت. والنصب على أنّ (كأن) مخففة من الثقيلة وهي عاملة ، و(ظبية) اسمها وخبرها محذوف ، والجملة الفعلية في محل نصب نعت، والتقدير : (كأنّ ظبية عاطية إلى وارق السلم هذه المرأة). والرفع على أنّ (كأن) حرف تشبيه مخفف واسمها محذوف، و(ظبية) خبرها ، والتقدير (كأنها ظبية)⁽⁴⁾ . وأما البصريون فذهبوا إلى أنّ الحرف الذي يعمل لشبهه بالفعل لا يتأثر عمله إذا خفف ، واستدلوا بقول الشاعر :

ومعتدٍ فظٌّ غليظُ القلبِ كأنّ ورَيْدِيَه رَشَاءُ خُلْبِ⁽⁵⁾

-
- (1) انظر : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج1: 159- 168، و انظر : البغدادي ، خزنة الأدب ، ج10: 392، وانظر : ابن هطيل ، جمال الدين علي بن محمد بن سليمان بن أحمد(2008). عمدة ذوي الهمم ، تحقيق : شريف عبد الكريم النجار ، ط1، عمان : دار عمار، ص195.
- (2) انظر : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1: 159.
- (3) المصدر السابق، ج1: 164. هذا البيت من الطويل ، وقد نسبه الأنباري لزيد بن أرقم، ونسبه ابن هشام إلى باعث بن صريم. انظر : شبارة ، علي سليمان (2005). نيل الأرب في الجمع بين (قطر الندى) و(شذور الذهب) لابن هشام، ط1، بيروت : مؤسسة الرسالة ناشرون ، ص183. ونسبه ابن مالك في ألفيته إلى ابن صريم اليشكري، وانظر : عيد، محمد(1990). نحو الألفية شرح معاصر و أصيل لألفية ابن مالك، القاهرة : مكتبة الشباب ، ص258. ونسبه سيبويه أيضا إلى ابن صريم اليشكري ، انظر : سيبويه ، الكتاب ، ج2 : 134، وانظر : السيرافي ، شرح كتاب سيبويه ، ج1: 434.
- (4) انظر : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1: 164، وانظر: الصيداوي ، يوسف الصيداوي(1999). الكفاف ، دمشق : دار الفكر ، ج1: 489- 491.
- (5) انظر : الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج1 : 161. نسب البيت جماعة من النحاة إلى رؤية بن العجاج ، والشاهد فيه على عمل (كأن) المخففة النصب لاسمها (ورديه) ، والرفع لخبرها (رشاء).

وقد روى سيبويه (ت 180 هـ) البيت بالنصب وقال : " وينصبون في الشعر إذا اضطروا بـ (كأن) إذا خففوا , يريدون معنى كأنّ بالتشديد ولم يريدوا الإضمار "(1) , وأما قول الشاعر :

ووجّه مُشرقُ النحر كأنّ ثدياه حُقان(2)

فوجب إضمار اسم (كأن) , والتخريج على أنّ اسمها ضمير الشأن (محذوف) , والتقدير (كأنه ثدياه حقان)(3) .

وما ذهب إليه الكوفيون من زوال مشابهة (كأن) الفعل فهو ضعيف ؛ وذلك لشبهها الفعل لفظاً ومعنى(4) , واللفظ أيضاً لم يزل كله ؛ إذ أشبهت فعل الأمر الذي ماضيه رباعيّ مضعّف كقولك : (أعدّ - أعدّ) و (أقلّ - أقلّ) ولم يفقد عمله بعد تغيير اللفظ .

واستشهدهم بقول الشاعر: (كأنّ ظبيّة تَعطُو إلى وارق السَلَم) , ضعيف ؛ وذلك لعدم ثبات نسبته فقيل : إنه لزيد بن الأرقم , وقيل : لباعث بن صريم اليشكري وقيل : لكعب بن أرقم(5) , وتعدد الروايات في (ظبية) أيضاً يضعفه , إذ رويت بالجر والنصب والرفع , فلا يُحتجّ به .

والأرجح هو عمل (كأن) ؛ فتخفيف اللفظ ليس حجة تُبطل العمل , وفي اعتقادي أنّ رواية (ظبية) بالنصب هي الأرجح , إذ خففت (كأن) للضرورة الشعرية , فمن خلال الاستقراء لم ترد مخففة في القراءات القرآنية أو كلام العرب من غير الشعر ليعزز ما ذهبنا إليه والله أعلم .

(1) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 161 .

(2) انظر : سيبويه , الكتاب , ج2 : 135. والبيت بلا نسبة وقد رواه سيبويه بنصب فقال : "كأنّ ثدييه حقان" .

(3) انظر : المصدر السابق .

(4) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف, ج1: 168 .

(5) انظر : المكودي , شرح المكودي على ألفية ابن مالك, ج1: 241 .

المسألة السابعة: الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل بعد اتصالها بـ (ما) الكافة :

اختلف العلماء في عمل (إنّ وأخواتها) بعد اتصالها بـ (ما) الزائدة , فانقسموا إلى عدة مذاهب . أما المذهب الأول فهو منع عمل الحروف المشبهة بالفعل بعد اتصالها بـ (ما) الزائدة وجوازه في (ليت) وعليه سيبويه(ت 180هـ), وهو رأي الجمهور⁽¹⁾, وذهب الخليل (ت175هـ) إلى أن (إنّما) بمنزلة فعل ملغى كقولك : (أشهد لخالد أفضل منك) فيرفع خالد على الابتداء⁽²⁾. أما المذهب الثاني فهو جواز عملها فيها كلها كقولك : (إنّما محمدا صائم) وعليه الكسائي(ت 189هـ)⁽³⁾, أما المذهب الثالث فهو جواز عملها في (ليت, ولعلّ وكانّ) وعليه الزجاج (ت311هـ) وابن السراج (ت 316هـ)⁽⁴⁾ أما المذهب الرابع فهو وجوب العمل في (ليت ولعلّ) ولا يجوز في غيرهما العمل وعليه الفراء (ت 207هـ)⁽⁵⁾.

واستدلّ سيبويه على جواز عمل (ليت) دون أخواتها بقول النابغة :

قالت: ألا ليئما هذا الحمام لنا إلى حمّامتنا ونصفه ففد⁽⁶⁾

والشاهد هنا بقوله : (ليئما هذا الحمام لنا) بنصب الحمام على أنه بدل من اسم الإشارة (هذا).

-
- (1) انظر : الميرد , أبا العباس محمد بن يزيد (1999).المقتضب , تحقيق : حسن حمد , بيروت : دار الكتب العلمية , ج1: 622 , وانظر : ابن هطيل , عمدة ذوي الهمم , ص 202, و انظر : الصنعاني , سابق الدين محمد بن علي بن أحمد بن يعيش (1991) . التهذيب الوسيط في النحو , تحقيق : فخر صالح سليمان قدارة , بيروت : دار الجبل , ص126, وانظر : ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1 : 433- 434.
- (2) انظر : سيبويه , الكتاب , ج3 : 130.
- (3) الزامل , الشيخ علي بن محمد(2011). شرح ألفية ابن مالك , ط1, الرياض : دار التدمرية , ج1: 470.
- (4) ابن عصفور, شرح جمل الزجاجي , ج 1: 433.
- (5) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10: 252.
- (6) انظر : الذبياني , النابغة (1911) . ديوان النابغة الذبياني , نقلا عن ديوان الشعراء الخمسة ببعض تصرف وتنقيح. القاهرة : مطبعة الهلال , ص36 , وانظر : الخطاب , الكواكب الدرية , ص271- 273. والبيت للنابغة قاله في الزرقاء .

إذ لم يفارق (ليت) عملها بالأسماء بعد اتصالها ب (ما) الزائدة , أما أخواتها فيفارقها الاختصاص إذ تدخل على الجملة الفعلية⁽¹⁾ كقولك (لعلمًا يأتي علي) , وقوله تعالى : {إِنَّمَا يَخْتَشَى اللّٰهَ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} فاطر : 28 . والشاهد في قوله تعالى : (إنما يخشى) وهو خروج (إن) عن اختصاصها بالأسماء بعد اتصالها ب (ما) الكافة , وقوله تعالى : {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} المؤمنون : 115 . والشاهد هنا في قوله تعالى : (أنما خلقناكم) , وقوله تعالى : {كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} الأنفال : 6 . والشاهد هنا في قوله تعالى : (كأنما يساقون) , وقول الشاعر : "لكنما أسعى لِمَجْدٍ مؤثِّل"⁽²⁾ , وقول الشاعر :

أَعِدْ نَظْرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ لِعَلْمَا أَضَاعَتْ لَكَ النَّارُ الْحَمَارَ الْمُقْتِدَا⁽³⁶⁾

أما (ليتما) فلم يأت بعدها الفعل في كتاب الله ولا في كلام العرب قط , وهذا يؤكد بقاء اختصاصها بالأسماء وعملها فيها بعد اتصالها ب (ما) الزائدة مما يرجح ما ذهب إليه الجمهور.⁽⁴⁾

أما الكسائي (ت 189هـ) فأجاز عمل الحروف المشبهة بالفعل كلها بعد اتصالها ب (ما) الزائدة قياسا على عمل (ليت) , كقولك : (أئما عليا مسافر)⁽⁵⁾.

-
- (1) انظر : ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1 : 434 - 435 .
(2) ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1 : 434 , وانظر : الخطاب , الكواكب الدرية , ص 269 . المؤثِّل : عريق الأصول و الشاهد في قول الشاعر : (لكنما أسعى) .
(3) انظر : ابن عقيل , شرح ابن عقيل , ج 1 : 491 , وانظر الأصفهاني , أبا الفرج الأصفهاني (2002) , الأغاني , تحقيق : إحسان عباس , بيروت : دار صادر , ج 8 : 45 - 46 . البيت للفرزدق يهجو به جرير بأفحج قول ويتهم بعبد قيس وهو رجل من قبيلة عدي بن جندب , إذ قال جرير عدة أبيات أعجبت الناس وتناشدوها , فقال لهم جرير كأنكم بابن القين - وهو لقب الفرزدق - وقد قال : (أعد نظرا) , فلم يلبثوا أن جاءهم قول الفرزدق هذا البيت وبعده : حمارٌ بمَرُوتِ السُّحامةِ قاربتَ وظيفيه حول البيت حتى ترددا وأما شاهد هذا البيت ففي قوله : (لعلمًا أضاعت) .
(4) ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1 : 435 .
(5) الزامل , شرح ألفية ابن مالك , ج 1 : 470 .

و ما ذهب إليه الكسائي (ت 189هـ) ضعيف , لعدم مجيئه في كتاب الله وكلام العرب , ولا يصح القياس أيضا على (ليت) ؛ فهي لم تفارق الاختصاص بعد اتصالها ب (ما) الزائدة كما فارقت أخواتها. والناظر لما في قول ابن مالك (ت 672هـ) :

وَوَصَلُ (ما) بذي الحُرُوفِ مُبْطِلٌ إِعْمَالُهَا وَقَدْ يُبْقَى الْعَمَلُ⁽¹⁾

قد يفسر ظاهر قوله : (وقد يبقى العمل) على جواز العمل في الحروف المشبهة بالفعل كلها , والصحيح جوازه في (ليت) و(قد) تفيد التقليل على الأرجح⁽²⁾.

أما الزجاج (ت 311هـ) وابن السراج (ت 316هـ) فاحتجا بأن قالا : إنّ (ليت ولعلّ وكأنّ) تعمل النصب فيما بعدها بعد اتصالها ب (ما) الزائدة وهو أقوى من (إنّ وأنّ و لكنّ)⁽³⁾ ؛ لأنها غيرت معنى الابتداء , إذ صيرت المعنى إلى التشبيه والتمني والترجي , بخلاف (إنّ وأنّ ولكنّ) التي حافظت على معنى الابتداء بعد اتصالها ب (ما) الزائدة⁽⁴⁾ , فجاز النصب في قولك : (لعلما الشمس تغرب) أي : (أرتجي غروب الشمس).

ولعل الأرجح ما ذهب إليه الجمهور , وأما الآراء الأخرى فهي بعيدة عن الصواب ؛ وذلك من وجهين , أما الوجه الأول فهو سماع العرب , إذ لم يرد في كلام العرب نصب الحروف المشبهة بالفعل لاسمها بعد اتصالها ب (ما) الزائدة , وإن كان ما رواه الكسائي (ت 189هـ) من كلام العرب بنصب اسمها صحيحا , فهو قليل وعلى الأرجح يختص بلهجة دون غيرها , وما فهم من قول ابن مالك (ت 672هـ) :

ووصل (ما) بذي الحروف مبطل إعمالها وقد يبقى العمل

(1) انظر: ابن الناظم , شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك , ص 124 - 125 , وانظر: طربوش ياسين (2008). مسالك

التراث في النحو والصرف , تحقيق : سماح عثمان حمشو , دمشق : دار قتيبة , ج 2: 975- 977.

(2) انظر : الزامل , شرح ألفية ابن مالك , ج 1: 470- 471.

(3) انظر : ابن هطيل , عمدة ذوي الهمم , ص 202.

(4) انظر : ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1: 434.

صحيح إذا فهم ظاهره , ولكن الأرجح أن قوله : (قد يبقى العمل) يفيد تخصيص العمل لأحدها؛ (قد) تفيد التقليل مما يرجح الرأي الأول⁽¹⁾ وهو مذهب الجمهور , وما ذهب إليه الزجاج (ت 311هـ) في خروج (ليت ولعلّ وكأنّ) عن معنى الابتداء , فما القول في (لكن) التي أفادت الاستدراك؟ ونحن نعرف أن الاستدراك يعطي معنى مخالفا لما قبله كقولك : (الكتاب مفيد ولكنه صعب) وهذا ليس ابتداءً خالصاً كما هو معروف ؛ فالابتداء(الخالص) لا يعتمد على ما قبله , أما الوجه الثاني فهو مخالفتها للقياس فجميع هذه الحروف يتسع حيّز استخدامها لينتقل من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية كقولك : (إنّما يلعب الأطفال بهدوء)⁽²⁾ , ما عدا (ليت) فهي باقية على اختصاصها بالأسماء فلم يتسع عملها بعد اتصالها بـ (ما) الزائدة فجاز عملها .

وأما قول النابغة :

قالت ألا ليّتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

ففيه روايتان إحداهما برفع (الحمام) وفيه تخريجان , أما التخريج الأول فعلى أنّ الحمام بدل مرفوع من اسم الإشارة (هذا) وعليه تكون (ما) زائدة كافة للعمل.⁽³⁾

(1) انظر : الزامل , شرح ألفية ابن مالك , ج1: 471.

(2) انظر : السامرائي , فاضل صالح(2000).معاني النحو , ط1, عمان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , ج1: 325-327.

(3) انظر : دعسين , محمد عبد الملك بن عبد السلام (2006).منحة الملك الوهاب بشرح ملحّة الإعراب , تحقيق : سميرة طارق صالح بن ثعلب , ط1, عمان : دار المناهج للنشر والتوزيع , ص371 , وانظر : الخطاب , الكواكب الدرية, ص272.

أما التخريج الثاني فعلى أنّ (ما) نكرة تامة تحل محلّ اسم الحروف الشبهة بالفعل ,
فقولك : (إنّما عليّ مسافر) أي : (إنّ أمرا عليّ مسافر).

أما الرواية الثانية فهي بنصب (الحمام) على أنّها بدل من اسم الإشارة (هذا) , وبهذا
تسمى (زائدة) غير كافة , فنجد استخدام (ما) كافة أكثر شيوعا من كونها غير كافة , وهكذا
نجد أنّ الأصل في هذه الأحرف أنّها تعمل النصب بعد اتصالها بـ (ما) كافة باستثناء (ليتما)
لملازمتها الأسماء , فامتناع دخولها على الجملة الفعلية فارق لها عن أخواتها اللواتي ثبت
دخولهنّ كقولك : وإنّما يعمل الصالحون , و(أنّما) تعمل الخير , وكأنّما تعطي الحياة , ولعلّما
يأتي عليّ , ولم تدخل (ليتما) على جملة فعلية قط ؛ فلا يقاس عليها لتنفرد في العمل⁽²⁾.

(1) السخاوي , علم الدين بن علي بن محمد (2008) . المفضل في شرح المفصل , تحقيق : يوسف الحشكي , عمان :
وزارة الثقافة , ص152.

(2) المصدر السابق , وانظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص395-396 , وانظر : الخطاب , الكواكب
الدرية , ص272-273 , وانظر : الزامل , شرح ألفية ابن مالك , ج1 : 471 , وانظر : الصنعاني , التهذيب الوسيط
في النحو , ص126-127 , وانظر : دعيّسين , منحة الملك الوهاب بشرح ملحّة الإعراب , ص370-371 , وانظر :
ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج1 : 433-435.

المسألة الثامنة: الخلاف في كسر همزة (إنّ) في بداية جملة القسم :

اتفق العلماء على وجوب كسر همزة (إنّ) في كل موقع لا تؤول فيه مع اسمها وخبرها بمصدر⁽¹⁾ , وذهب الزجاج(ت340هـ) إلى أنها تكسر في أربعة مواقع : أما الأول : ففي الابتداء الصريح كقولك : (إنّ الصلاة تنهى عن المنكر) , وأما الثاني : فإذا دخلت لام الابتداء على خبرها وكانت (إنّ) مسبوقه بأحد أفعال القلوب , فلو كانت مفتوحة كسرت بسببه كقولك : (أعلم أنك ذاهب)⁽²⁾ , ومع دخول اللام تصير (أعلم إنك لذهاب) , أما الثالث : فمجيئها بعد القسم كقولك : (والله إنّ الصدق حقّ) وفيه خلاف , أما الرابع : فمجيئها محكية القول كقولك : (قال: إنّ الكذب مكشوف)⁽³⁾.

أما الخلاف الحاصل في مجيء (إنّ) في جواب القسم , فهو مشروط بعدم وجود اللام المرحقة في خبرها فإن وجدت وجب الكسر بالاتفاق كقوله تعالى : { وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } العصر:1. وإن لم توجد كان الخلاف كقولك : (والله إنّ الصدق منج) , فذهب البصريون إلى وجوب كسر همزة (إنّ) , أما الكوفيون فاختلّفوا بين الوجوب والجواز , فذهب الكسائي (ت189هـ) إلى جواز الفتح , وذهب الفراء(ت207هـ) إلى وجوبه⁽⁴⁾ , واستدلوا بقول الشاعر:

أَوْ تُحْلِفِي بِرَبِّكَ , الْعَلِيِّ أَنِّي أَبُو ذِيَالِكِ الصَّبِيِّ⁽⁵⁾

والشاهد فيه قوله : (أني أبو ذيالك الصبي) بفتح همزة (أن) والتخريج على تأويل أن مع اسمها وخبرها بمصدر مجرور بحرف جر محذوف ، والتقدير : (أو تحلفي على كوني أبا لهذا الصبي) . وأما الكسر فعلى أنّ (إنّ) واسمها وخبرها جملة لا محل لها من الإعراب , وهي جواب القسم.

-
- (1) المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص404.
(2) هنا تؤول بمصدر في محل نصب مفعول به للفعل (ظن) , كأنك قلت أعلم ذهابك .
(3) انظر : الزجاجي , أبا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق(1984). الجمل في النحو , تحقيق : علي توفيق الحمد, ط1, إربد : دار الأمل , ص58 , وانظر : الرماني , أبا الحسن علي بن عيسى(1981). معاني الحروف , تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شبلي , ط2, جدة : دار الشروق , ص109-110. وفيه توسع في الابتداء.
(4) انظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص412-413, وانظر : الزجاجي , الجمل في النحو , ص58.
(5) انظر : أبا العرفان , حاشية الصبان , ج1: 433 , وانظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص413. البيت من الرجز , ونسب إلى رؤبة بن العجاج .

واستدلوا أيضا بالقياس فتقول : (أشهد أنك ذاهب)⁽¹⁾ , و(أشهد) هنا بمنزلة القسم كما قال سيبويه (ت180هـ) : "أشهد لعبد الله خير من زيد , كأنك قلت : والله لعبد الله خير من زيد"⁽²⁾ , ويقول المبرد (ت285هـ) : إن تقدير الجملة بعد (أشهد) بتقدير حرف جر (على أو الباء) فلو قلت : أشهد أنّ عليا صادق , كأنك قلت : أشهد (على أن , أو بأنّ) علي صادق , ويعلل ذلك بقوله : إذا حذف حرف الجر فهم المعنى وحذفه حسن , وهو يقبس ذلك على قوله تعالى : {وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ} الأعراف : 248. أي : من قومه , والشاهد هنا هو حذف حرف الجر(من) لوضوح المعنى . وعلى تركيب جملة الصلة كقولك : (الذي رأيت زيد) فتحذف الهاء من الفعل والأفضل إثباته لأنه الأصل أي : (الذي رأيت) ليستدلّ على ما ذهب إليه⁽³⁾ .

أما البصريون فذهبوا إلى أن (إنّ) هنا واقعة في بداية جملة جواب القسم , إذ لا يأتي الاسم الذي بموقعها إلا مرفوعا على الابتداء , ففاسوا عليه موقع (إنّ) كقولك : (والله إنّ العلم مفيد) فالعلم مرفوع على الابتداء قبل مجيء (إنّ) لتلتزم الكسر⁽⁴⁾ .

واستدلوا على وجوب كسر همزة (إنّ) من خلال السماع فلم يرد سوى الكسر بعد القسم كقولك : (تالله إنّ أباك راحل) , إذ قال ابن خروف (ت610هـ) : " لم يُسمع فتحها بعد اليمين , ولا وُجّه له"⁽⁵⁾ .

أما ما جاء به الكوفيون فهو ضعيف , وذلك لضعف قياسهم كما عبر عنه سيبويه إذ قال : " لو قال : أشهد أنت ذاهب ولم يذكر اللام لم يكن إلا ابتداءً , وهو قبيح ضعيف"⁽⁶⁾ .

(1) الزجاجي , الجمل في النحو , ص58 , وانظر : الإشبيلي , أبا بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي (2011). الواضح , تحقيق : عبد الكريم خليفة , ط2, عمان : دار جليس الزمان , ص273.

(2) سيبويه , الكتاب , ج3: 146-147.

(3) المبرد , المقتضب , ج1: 605. القياس هنا على جواز إضمار الضمير , والاحتجاج برأيه هنا؛ لأنه على مذهب الكوفيين في هذا الموضوع فأجاز الفتح.

(4) الزجاجي , الجمل في النحو , ص56 , وانظر : ابن هشام , أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ج1: 103.

(5) المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص413 , وانظر : ابن خروف , أبا الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي (1995). شرح كتاب سيبويه المسمى تنقيح الأبواب في شرح غوامض الكتاب , تحقيق : خليفة محمد خليل

بديري , ط1, منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي , ص236.

(6) سيبويه , الكتاب , ج3: 151.

واستشهدهم بقول الشاعر :

أَوْ تُحْلِفِي بِرَبِّكَ، الْعَلِيِّ أَنِّي أَبُو ذِيَالِكِ الصَّبِيِّ

ضعيف أيضا , إذ روي هذا البيت بالكسر أيضا , مما يضعف قوة الاحتجاج به , وفي هذه الرواية جاء على تأويل حرف الجر المحذوف أي : (بأنّي) , ويقع القسم على الشاعر نفسه , أما الرواية بالكسر فهي جواب القسم⁽¹⁾ ؛ ليتضح دور المعنى المراد المؤثر في شكل كتابة همزة (إنّ) , فالخلاف هنا يركز على المعنى , فهم يتفقون على وجوب الكسر إذا كانت الجملة ابتداءً ؛ ليقصر الخلاف على فهم المعنى المراد من التركيب .

(1) ابن عقيل , شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك , ج 1: 358.

المسألة التاسعة: الخلف في كسر همزة (إن) بعد (حيث):

اختلف العلماء في كسر همزة (إن) بعد حيث , فأوجب البصريون كسر همزة (إن) بعد (حيث) خلافا للكوفيين , إذ يجيزون الفتح بعدها , وهو مذهب الكسائي (ت 189هـ)⁽¹⁾.

ويستدلّ البصريون - على وجوب إضافة (حيث) للجمل⁽²⁾ - , بما نقل من كتاب الله , كقوله تعالى : {سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} الأعراف: 182. والشاهد في قوله تعالى : (حيث لا يعلمون) إذ جاءت الجملة الفعلية في موقع جر بالإضافة. إذ لم تضاف إلا إلى الجمل⁽³⁾ , أما الكوفيون فاستدلوا بقول الشاعر :

وَنَطَعْتُهُمْ حَيْثُ الْكَلَى بَعْدَ ضَرْبِهِمْ ببيض المَوَاضِي حَيْثُ لِي الْعَمَائِمِ⁽⁴⁾

إذ يؤولون عليه جملة (أن) وما وصل بها بموقع المفرد ؛ وعليه جاز فتح همزة (أن)⁽⁵⁾.

والأرجح ما ذهب إليه البصريون , إذ يظهر ضعف حجة الكوفيين من عدة وجوه : أما الوجه الأول فهو شذوذ هذا الشاهد⁽⁶⁾ , وأما الوجه الثاني , فهو عدم اكتمال المعنى بإضافة المفرد وحده كقولك : (جلست حيث الرجل) , فمثل هذا يوحى للمتلقى تمام المعنى بمكان الرجل , كأنه قال : (حيث الرجل موجود) لتلتزم إضافتها إلى الجمل , أما الثالث فهو استشهادهم بقول الشاعر : (حيث لي العمائم) وقد روي البيت برفع (لي) وجرها , ليضعف الاستشهاد به⁽⁷⁾.

(1) انظر: الخصري, محمد بن مصطفى بن حسن (1995) . حاشية الخصري على شرح ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك, تحقيق : يوسف محمد الباقي , بيروت : دار الفكر ج: 1: 130, وانظر: المرادي الجني الداني, ص 407, وانظر: ابن هشام, أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك, ج: 1: 101.

(2) انظر: الخصري, حاشية الخصري على شرح ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك, ج: 1: 132.

(3) انظر: أبا العرفان, حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك, ج: 1: 428.

(4) انظر: عبد الحميد, محمد محيي الدين, عدّة المسالك إلى تحقيق أوضح المسالك , وهو الشرح الكبير بين ثلاثة شروح بيروت: المكتبة العصرية, ج: 3: 126. البيت من الطويل وهو بلا نسبة , والشاهد في قوله : (حيث لي) إذ أضاف المصدر (لي) إلى حيث.

(5) النسائي, علي محمود (2004). الكامل في النحو والصرف , ط1, القاهرة: دار الفكر العربي, ج: 1: 204.

(6) عبد الحميد, عدّة المسالك إلى تحقيق أوضح المسالك, ج: 3: 126 - 127.

(7) انظر: المصدر السابق.

المسألة العاشرة : الخلاف في خبر (ليت) في قولك : (ليت شعري):

اختلف العلماء في خبر (ليت) كما في قولك : (ليت شعري) (فذهب المبرد(ت285هـ) والزجاج(ت311هـ) إلى أن جملة الاستفهام بعدها هي الخبر كقولك : (ليت شعري هل تعود الأيام)⁽¹⁾ و ذهب الأعلم الشنتمري (ت 476هـ) إلى جواز مجيئه اسماً مفرداً ظاهراً كقولك: (ليت شعري مهاجر)⁽²⁾, وذهب البصريون والجمهور إلى أن الخبر محذوف وجوبا وتقديره (ليت شعري حاصل)⁽³⁾.

واستدلّ المبرد (ت 285هـ) بقول الشاعر :

ألا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَادِثٌ وَصَلَّهَا وَكَيْفَ تُرَاعِي وَصَلَةَ الْمُتَغَيَّبِ⁽⁴⁾

على أنّ المصدر (شعري)⁽⁵⁾ ملغى , وجملة الاستفهام في موقع رفع الخبر , والتقدير " ليت علمي واقع بكيف حادث وصلها"⁽⁶⁾, وأما الأعلم(ت476هـ) فأجاز مجيء الخبر اسماً مفرداً ظاهراً وأجاز حذف جملة الاستفهام أيضاً , واستدلّ بقول الشاعر :

لَيْتَ شِعْرِي مَسَافِرَ بَنِ أَبِي عَمٍ رَوِ وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمُحْزُونُ⁽⁷⁾

على حذف الاستفهام بعد (ليت شعري) ومجيء الخبر مفرداً , وتقدير الاستفهام : "ليت شعري أنجتم أم لا" . وروي بنصب (مسافر) أو رفعه , وفي رواية النصب يكون (مسافر) منادى منصوباً , و(ابن) مضاف إلى ما هو كالعلم لشهرته به.⁽⁸⁾

(1) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج:1: 436.

(2) انظر : البغدادي , خزانة الأدب , ج:10: 464. هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان.

(3) انظر : السيرافي , شرح أبيات سيبويه , ج:2: 148 , وانظر : البغدادي , خزانة الأدب , ج: 10 : 464.

(4) انظر: البغدادي , خزانة الأدب , ج: 10 : 464 , وانظر : الرماني , معاني الحروف, ص113. شعري : المصدر من الفعل أشعر أو شعرت فنقول : شعرت به شعرة وهي بمعنى العلم والفتنة.

(5) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج:1: 436. البيت من الطويل , وقد نسب إلى امرئ القيس.

(6) المصدر السابق.

(7) انظر : البغدادي , خزانة الأدب , ج:10: 463. المصدر السابق , ج: 10 : 464.

أما البصريون فذهبوا إلى أن خبر قولك : (ليت شعري) محذوف وجوبا يفسره الكلام كقول الشاعر : "ألا ليت شعري كيف حدث وصلها" وعليه يكون المصدر المضاف إلى ياء المتكلم (شعري) اسما لـ (ليت) والخبر محذوف تقديره (حاصل) وموقع جملة الاستفهام مبني في محل نصب مفعول به للمصدر المضاف إلى فاعله (شعري)⁽¹⁾ وهو الأرجح.

وأما ما ذهب إليه المبرد (ت285هـ) والزجاج (ت311هـ) ففيه نظر ؛ لعدم اكتمال المعنى إذا جعلنا جملة الاستفهام هي الخبر ، كقولك : (شعري هل يعود أحمد) ، إذ لا يفهم الكلام دون تقدير المحذوف ، لأن الربط بين المبتدأ والجملة الطلبية منعدم⁽²⁾ ، وأما الثاني فهو مخالفة القياس فلا يجوز أن تقول على الابتداء (أحمد هل عاد زيد)⁽³⁾ فأحمد ليس مبتدأ بل منادى و الأداة محذوفة أي : يا أحمد.

وما ذهب إليه الأعمى (ت476هـ) من جواز مجيء الخبر اسما ظاهرا - في رواية الرفع- كقول الشاعر : " ليت شعري مسافرُ بن أبي عمرو " ضعيف ؛ لأن (مسافر) منادى مبني على الضم ، والخبر محذوف لدلالة السياق عليه⁽⁴⁾ ، وتخريجه النصب بعيد أيضا إذ جعل (مسافر) يحل محل مفعول المصدر (شعري) على تأويل (شعري خبر مسافر) أي : (ليتني أعلم خبره) فحذف (الخبر) وحل محله المضاف (مسافر)⁽⁵⁾.

(1) انظر : السيوطي ، همع الهوامع ، ج1: 436.

(2) انظر : البغدادي ، خزانة الأدب ، ج10: 464.

(3) انظر : السامرائي، معاني النحو ، ج1: 303.

(4) انظر : السيوطي ، همع الهوامع ، ج1: 436. والتقدير "ليت شعري بكذا ثابت أو موجود" وعلّة حذفه لأنه بمعنى ليتني أشعر ، والجملة التي بعده سدت مسد المحذوف .

(5) انظر : البغدادي ، خزانة الأدب ، ج10: 464.

و ما ذهب إليه من جواز حذف جملة الاستفهام ففيه نظر , إذ وردت روايتان في البيت الذي يليه أما الرواية الأولى فهي :

بُورِكَ الميِّتِ الغريبُ كما بُو رِكَ عُصْنُ الرِّيحانِ والزَّيْتونُ⁽¹⁾

وأما الرواية الثانية فهي :

أَيُّ شَيْءٍ دَهَاكَ أَمْ غَالَ مَرَأً كَ وَهَلْ أَقْدَمْتَ عَلَيْكَ المَنونُ⁽²⁾

ففي الرواية الأولى : قد تكون على حذف أداة الاستفهام للضرورة الشعرية فكأنه قال: (ليت شعري أمسافر بن أبي عمرو؟) وشيوع مجيء الاستفهام بعدها يؤول ذلك , وأما الرواية الثانية : فهي تؤكد مجيء جملة الاستفهام الواقعة موقع المفعول للمصدر (شعري) ولكنه اعترض بجملة النداء (مسافر بن أبي عمرو) والجملة الاسمية (ليت يقولها المحزون)⁽³⁾ , وهو الأرجح .

(1) انظر: البغدادي , خزنة الأدب , ج10 :463.

(2) المصدر السابق .

(3) المصدر السابق , ج10: 463-464 , وانظر : السيرافي , شرح أبيات سيوييه , ج2: 148.

المسألة الحادية عشرة : الخلاف في أصالة (إنّ) على (أنّ) :

اختلف العلماء في أصالة (إنّ) على (أنّ) أو العكس , فمنهم من ذهب إلى أنّ (إنّ) هي الأصل ومنهم من ذهب إلى أنّ (أنّ) هي الأصل , ومنهم من جعل كلا منهما أصلاً وحدها⁽¹⁾.

فثمة ثلاثة آراء في هذه المسألة , وأما الرأي الأول فهو أنّ تكون (إنّ) هي أصل (أنّ) ومن أصحاب هذا المذهب سيبويه (ت180هـ) والمبرد (ت285هـ) وابن السراج (ت316هـ) فقد تبين ذلك من خلال كتابه (الكتاب) إذ جعل (إنّ وأنّ) بمنزلة الحرف الواحد وذلك من خلال ترتيبهما فتصدرت (إنّ) على (أنّ) , وحرصه على فهم الفرق بينهما لأنّ (إنّ) عامل مختص بالأسماء فقد قال : "سألت الخليل فقلت : ما منعهم أن يقولوا : أحقا إنّك ذاهب على القلب , كأثك قلت : إنّك ذاهب حقا , وإثك ذاهب الحق , و إنّك منطلق حقا ؟ فقال : ليس هذا من مواضع إنّ؛ لأنّ إنّ لا يبتدأ بها في كل موضع"⁽²⁾ ونستدلّ من روايته على أصالة (إنّ) , وهذا مذهب العُكْبَرِي (ت616هـ) فاستدل على أصالتها بثلاثة وجوه , أما الأول فهو أنّها تفيد في الجملة معنى واحداً وهو التوكيد أما المفتوحة فهي تفيد التوكيد و تعلق ما بعدها بما قبلها , وأما الثاني فهو شبه (إنّ) المكسورة بالفعل أكثر من (أنّ) ؛ لأنّ (إنّ) عاملة غير معمول فيها كالفعل أما (أنّ) فهي عاملة ومعمول فيها , بخلاف (إنّ) لأنها كالمفرد , والمفرد أصل المركب , وأما الثالث فهو أنّ (أنّ) وجملتها بمقام الاسم بخلاف (إنّ) لأنها مستقلة بنفسها⁽³⁾.

(1) انظر : العُكْبَرِي , اللباب في علل البناء والإعراب , ج1: 224, وانظر : المرادي , الجنى الداني , ص403-404.

(2) سيبويه , الكتاب , ج3: 135.

(3) انظر : العُكْبَرِي , اللباب في علل البناء والإعراب , ج1: 224.

ولقد أضاف المرادي (ت749هـ) إلى ما استدل به العُكْبَرِي (ت616هـ) على أصالة (إِنَّ) , فقال : إِنَّ (أَنَّ) المفتوحة تصير مكسورة بعد حذف ما تتعلق به , كقولك : (علمت أَنَّ السماء صافية) , فبعد الحذف تصبح (إِنَّ السماء صافية)⁽¹⁾.

أما الرأي الثاني فذهب بعض النحاة إلى أَنَّ (أَنَّ) هي الأصل , فاستدلوا إلى أَنَّ عدد الحروف المشبهة بالفعل خمسة كما ذهب إليه سيبويه (ت180هـ) والمبرد (ت285هـ) لا ستة , لأنَّ (أَنَّ) و (إِنَّ) حرف واحد والفرق بينهما في موقعهما داخل السياق و(إِنَّ) فرع من (أَنَّ)⁽²⁾, ولعل استدلالهم ارتكز على أصل تركيب (لكنّ) من (لكنْ) و (أَنَّ) , وعليه قد تأصلت وسادت (أَنَّ) على أخواتها .

أما الرأي الثالث فذهب الصنعاني (ت680هـ) إلى أن عدد هذه الحروف ستة وفصل بين (إِنَّ) و (أَنَّ) , ولعل هذا الفصل للفروق التي تميزت بها (إِنَّ) على (أَنَّ) وأهم هذه الفروق هو استقلال (إِنَّ) بجملتها واستغنائها عما قبلها , بخلاف (أَنَّ) التي تعد هي وجملتها صلة لما قبلها⁽³⁾.

(1) انظر : المرادي , الجنى الداني, ص404.

(2) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 425.

(3) انظر : الصنعاني , التهذيب الوسيط , ص125.

أما القول في أصالة (أَنَّ) على (إِنَّ) ففيه نظر , فلو أزلنا ما تتعلق به (أَنَّ) لعادت لأصلها وهي (إِنَّ) , وأما ما استدلوا به من تركيب (لكنَّ) ففيه نظر أيضا ؛ لبساطتها فهي حرف نادر البناء⁽¹⁾ , لتثبت أصالة (إِنَّ) والله أعلم.

وأما ما ذهب إليه الصنعاني (ت 680هـ) من جعل هذه الحروف ستة فهو ضعيف أيضا , إذ اتضح أن (إِنَّ) و(أَنَّ) حرف واحد و(إِنَّ) هي الأصل , أما شكل الهمزة فهو مقترن بالسياق كقولك : (قل : إِنَّ الصدق منجاة) فتكسر الهمزة لابتداء الكلام بها , واستقلالها عما قبلها بخلاف (أَنَّ) التي تأتي مع جملتها لتحل محل المفرد كقولك : (أظن علياً ذاهباً) على تأويل (أظن ذهاب علي) , فالسياق هو من ألزم شكل الهمزة لـ (أَنَّ) لتصبح إحداهما أصلاً للأخرى , وعليه تعد الحروف المشبهة للفعل خمسة لا ستة كما ذهب .

والصحيح من هذه الآراء ما ذهب إليه سيبويه (ت180هـ) والجمهور , إذ تبين أن (إِنَّ) هي أصل (أَنَّ) , وقال ابن هشام (ت761هـ) :

وَفِرْعُهَا أَنْ بَفْتَحِ الهمزةَ وَعَمِلَتْ رَفْعاً وَنَصَباً كَالتي

وَمِنْ هُنَا خَفَّفَ أَنْ وَإِنَّمَا بِالْفَتْحِ حَصْرُهَا إِذَا كَانَتْ⁽²⁾.

(1) انظر : المرادي , الجنى الداني , 617ص.

(2) انظر : ابن هشام , مغني اللبيب , ج:1: 55.

فشيوع استعمال (إنّ) عند العرب أكسبها هذه الأصالة , إذ كانت أكثر استعمالاً من (أنّ), ولعل ذلك من توسعهم في الابتداء , فـ (إنّ) حرف ابتداء يصح أن يبتدأ بها في أي حال بخلاف (أنّ) التي تعتمد على ما قبلها من كلام ؛ فهي صلة له .

وقد ذهب الزمخشري (ت 538هـ) إلى أن (أئماً) تفيد الحصر قياساً على (إئماً) مستدلاً بقوله تعالى : {قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۚ قَهْلَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} الأنبياء : 108. والمعنى : ما أوحى إلي في أمر الربوبية إلا التوحيد , لا الإشراك ؛ لنستدل على أصالة (إنّ) من قياسه⁽¹⁾ , ولعل (إنّ) قد اكتسبت هذه الأصالة لمشابهتها الفعل فهي عاملة غير معمولة , ولو حذف ما تتعلق به (أنّ) لعادت إلى أصلها⁽²⁾ , فعدم ثباتها على حالها وتغيرها حسب سياقها جعلها فرعاً للأصل (إنّ) والله أعلم .

(1) انظر : ابن هشام , مغني اللبيب , ج1: 55-56.

(2) انظر : المرادي , الجنى الداني , ص403-404.

المسألة الثانية عشرة : القول في زيادة لام الابتداء في خبر (لكن) :

استدلّ الكوفيون بقول الشاعر :

يَلُومُونَنِي فِي حَبِّ لَيْلَى عَوَاذِلِي وَلَكِنِّي مِنْ حُبِّهَا لَعَمِيْدُ⁽¹⁾

على دخول لام الابتداء في خبر (لكن) , ومنعه البصريون.⁽²⁾ وذهب الكوفيون إلى أنّ الأصل في (لكن) (إنّ) زيدت عليها (لا والكاف) فصارت كلها حرفا واحدا , واستدلوا أيضا بالقياس على قبول (إنّ) للزيادة ودخول اللام عليها كقول الشاعر:

لَهْئِكَ مِنْ عَبَسِيَّةٍ لَوْ سَمِيَةٌ عَلَى هَنَوَاتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَفُوْلَهَا⁽³⁾.

وفي (لهئك) ثلاثة آراء : أما الأول فهو أن يكون أصل (لهئك) هو (لإئك) - اللام لام التوكيد المفتوحة - وهي هنا جاءت مخالفة لأصل تركيبها الموجب تأخيرها للخبر كقولك : (إنّ عليا لقائم) , إذ لا يجوز اقتران مؤكدين ولكن مع إبدال الهمزة في (إنّ) بالهاء ظن أنها كلمة غير (إنّ) , ونسب هذا الرأي لسيبويه⁽⁴⁾ , ونسب أيضا لسيبويه الرأي الثاني , وهو قولك : (لهئك) بمعنى (والله إئك) فحذف واو القسم ولام التعريف والألف في (لاه) والهمزة في (إنّ). ونسبه أبو البركات الأنباري إلى الفراء⁽⁵⁾ , والصحيح أنّ الأول هو مذهب سيبويه , وذهب إلى أنها لغة من لغات العرب كقولهم : هرقت أي : أرققت , وما جاء به السخاوي (ت 643هـ) هو مذهب الفراء⁽⁶⁾ , وذلك لما عرف عن الكوفيين باعتدادهم بظاهر الكلام . أما الثالث فهو أن أصل (لهئك) لاه إئك - بمعنى : والله إئك - فحذفت الألف من (لاه) والهمزة من (إنّ) فصارت (لهئك) , ونسب هذا الرأي للمفضل⁽⁷⁾.

(1) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10 : 36-364 , وانظر : السخاوي , المفضل في شرح المفصل 161ص-162. وقد روي هذا البيت بعدة روايات منها قول الشاعر : (ولكنني من واجد لكميد) وهذه رواية الفراء , ولم يذكره كاملا إلا ابن عقيل. ويروي (لكنني من حبها لكميد) , وعقب الأنباري بأن هذا البيت لا يعرف أوله ولا قائله , انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1 : 173. والشاهد على مجيء اللام في الخبر (لعميد) في قوله : (لكنني من حبها لعميد).

(2) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1 : 169.

(3) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1 : 170 , وانظر : السخاوي , المفضل في شرح المفصل , ص163.

(4) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1 : 170 .

(5) انظر : السخاوي , المفضل في شرح المفصل , ص163.

(6) انظر : سيبويه , الكتاب , ج3 : 150.

(7) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1 : 170.

ويستدلّ الكوفيون أيضا بقبول الحروف للإضمار أو الحذف من أولها وآخرها , كقبول أسماء الإشارة للإضمار كقولك : (هذا وهؤلاء) , وقبول (ما) الاستفهامية لحذف ألفها من آخرها كقولك : (لِمَ ذَهَبْتَ؟) , وكقوله تعالى : {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ} النمل : 35 . وممّا سُمِعَ من كلام العرب قولهم : (كَمْ مالِك؟) , إذ ذهبوا إلى أنها (ما) زيدت عليها (الكاف) , ثم كثر استخدامها فحذفت ألفها من آخرها وسُكُنَت مِيمِهَا.(1)

واستدلوا أيضا على أثر التركيب في تغيير حكم العمل , إذ قالوا : (إنّ (هل) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها , ولكّنها إذا رُكِبَت مع (لا) دخلت معنى التحضيض , فجاز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها فتقول : (جهادا هنا أطعمت) ؛ وذلك لتغيّر تركيبها , وكذلك في تركيب (لن) , إذ يرون أنها مركبة من (لا و أن) فجاز عملها فيما قبلها(2). وذهبوا إلى أنّ الأصل فيها (إنّ) وذلك لجواز العطف على مكان (لكن) كما يجوز في(إنّ)(3).

أما البصريون فمنعوا دخول اللام في خبر (لكنّ) ؛ وذلك لعدم التيقن من اللام فهي إما أن تكون لام التأكيد أو لام القسم؟ , إذ لا يصح المعنى عند دخول لام التأكيد في خبرها ؛ فهي مخالفة لمعنى (الاستدراك) الذي تفيدته (لكنّ) , أما (إنّ) فيجوز دخول لام التأكيد في خبرها لاتفاق معناهما , واتفقت أيضا مع لام القسم ؛ وذلك لوقوع (إنّ) في جواب القسم واللام كذلك , أما (لكنّ) فهي لا تدخل في جواب القسم فلا تُقاس عليهما(4).

(1) انظر: الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 170-172.

(2) المصدر السابق , ج1: 173.

(3) المصدر السابق , ج1: 175.

(4) المصدر السابق , ج1: 173.

أما ما ذهب إليه الكوفيون من جواز دخول لام الابتداء في خبر (لكنّ) كقول الشاعر :
(ولكنني من حبها لعميد) , فهو شاذ , ولا يصح القياس عليه ؛ فالقياس كما نعرف على المطرد
الشائع , ولكنّ الكوفيين يجيزون ذلك ؛ فهم لا يفرقون بين الشاذ والشائع في الاحتجاج ليضعف
رأيهم (1).

ودخول لام الابتداء في خبرها ممتنع ؛ لاختلاف المعنى فاللام للتأكيد و(لكنّ)
للاستدراك (2) , وهكذا تكون اللام زائدة , كما جاءت زائدة على قراءة من قرأ قوله تعالى : { إنا
أنهم ليأكلون الطعام } الفرقان :20. والشاهد في مجيء اللام زائدة في خبر (أنّ) (ليأكلون) (3) , وفي
قول الشاعر:

أُمُّ الحُلَيْسِ لِعَجُوزٍ شَهْرَبَةٍ تَرْضَى مِنَ اللّٰحْمِ بَعْظَمَ الرَّقَبَةِ(4)

والشاهد في دخول اللام الزائدة على خبر المبتدأ (لعجوز) , إذ زيدت للضرورة , وقد
قيست عليها اللام الداخلة على خبر (لكن) .

ومن جهة أخرى لم يُسمع من كلام العرب مجيء اللام في خبر (لكنّ) إذا كان شبه
جملة(5) ليضعف احتجاجهم , إذ من المحتمل أن تكون (اللام) قد دخلت في خبر (إنّ) في قول
الشاعر : (ولكنني من حبها لعميد) فأصل قوله (ولكنّ إني من حبها لعميد) ؛ وذلك على جعل
الضمير المنفصل كالم متصل كقول العرب : (جعلك) أي جعل لك وقوله تعالى : { لَكِنَّا هُوَ اللّٰهُ
رَبِّي } الكهف : 38 . أي (لكن أنا هو الله ربي) فنقلت حركة همزة (أنا) إلى نون (لكنّ) لتصبح
(لكننّا) ثم أدغمنا ؛ لتسهيل اللفظ.(6)

-
- (1) الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 173, وانظر : السخاوي , المفضل في شرح المفصل , ص162,
وانظر : النسائي , الكامل في النحو , ج1: 208- 209.
- (2) الصنعاني , التهذيب الوسيط في النحو , ص130, وانظر: السامرائي , معاني النحو , ج1: 315- 321.
- (3) ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , الشرح الكبير , ج1: 430.
- (4) انظر : المصدر السابق. ونسب إلى عنتر بن عروس من موالى ثقيف .
- (5) انظر : المصدر السابق.
- (6) ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , الشرح الكبير , ج1: 430.

وما استشهد به الكوفيون من قبول (إنّ) لزيادة اللام والهاء كما في قول الشاعر :

لهئك من عبسيّة لوسيمه على هنواتٍ كاذبٍ من يقولها⁽¹⁾

فقد تكون على لهجة من لهجات العرب , إذ وردت كلمات كثيرة أبدلت همزتها هاءً كقول بعض العرب : (هرقت الماء , أي : أرقت الماء) و (هرحت الدابة , أي : أرحت الدابة) , ولهذا جاز دخول لام الابتداء في خبرها لتغيّر صورتها⁽²⁾.

وقولهم : إنّ الحروف قابلة للإضمار أو الحذف من أولها وآخرها , كقبول أسماء الإشارة لإضمار الألف⁽³⁾ فهو ضعيف , إذ يقتصر على كلمات بعينها دون غيرها فلا يقاس عليه , فالأصل في القياس على الكلام المطرد الشائع , وما ذهبوا إليه من تركيب (لكنّ) من (إنّ) زيدت عليها (لا و الكاف) , فهو ضعيف ؛ لتركيب ثلاثة حروف وجعلها حرفا واحدا⁽⁴⁾ , وأما استدلالهم بتركيب (لن) من (لا وأن) وعملها فيما قبلها⁽⁵⁾ , ففيه نظر فـ (لن) حرف غير مركب , ولو كانت مركبة فلا يجوز أن يعمل ما بعد (لن) فيما قبلها كقولك : (أما الصدقة فلن أقطع) , إذ نصب (الصدقة) بالفعل المضارع (أقطع) , وهذا لا يجوز في (إنّ).⁽⁶⁾

(1) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 170.

(2) انظر : المصدر السابق , ج1 : 174.

(3) انظر : المصدر السابق, ج1 : 175.

(4) انظر : المرادي , الجنى الداني , ص618.

(5) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 173.

(6) المصدر السابق , ج1: 175.

وأما احتجاجهم في تغيير العمل مع تغيير التركيب كقولهم في (هأا) , إذ جاز أن يقال: (محمدا هأا أكرمت) فهو ضعيف , فاختلف المعنى الحاصل بعد التركيب قد أجاز ذلك , فمعنى (هل) الاستفهام ومعنى (هأا) التحضيض , بخلاف (لكن) ؛ فهي حرف غير مركب وهو باق على معناه - الاستدراك- فلا يتغير حكمه⁽¹⁾.

أما جواز العطف على مكان (لكن) - دون أخواتها - كما جاز في (إن) , فذلك لبقاء معنى الابتداء , فالاستدراك لا يزيل معنى الابتداء علما بأن بعض العلماء لم يُجز العطف على موقع (لكن)⁽²⁾.

وهكذا نرى أن احتجاج الكوفيين ضعيف , إذ تبين شذوذ البيت الذي استشهدوا به ولم يسمع غيره فلا تبنى عليه حجة , أما اللام التي في الخبر (لعميد) فمن المحتمل - إن لم تكن زائدة - أن تكون المؤكدة في خبر (إن) على تأويل قول الشاعر : (لكنني) أي : (لكن إنني) إذ حذفت الهمزة وأدغمت النون ؛ ليسهل اللفظ ويزول الخلاف والله أعلم.

(1) الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 175 .

(2) المصدر السابق. فالاستدراك ابتداء مبني على ما قبله في المعنى.

الفصل الرابع

الخلافا في معاني الحروف المشبهة بالفعل

الفصل الرابع : الخلاف في معاني الحروف المشبهة بالفعل :

وفي هذا الفصل ستعرض بعض المسائل المختصة في معاني الحروف المشبهة بالفعل, وسنتعرف إلى آراء العلماء الأوائل فيها , إذ لم يمتد الخلاف إلى كل الحروف المشبهة بالفعل , إذ أجمع العلماء على أن (ليت) لا تخرج إلا للتمني على وجهين , أما الأول فهو في تمني المستحيل كقولك : (ليت الزمان يعود) , وأما الثاني فهو في الممكن غير المرجو كقولك : (ليته يأتي)⁽¹⁾.

ومن المعاني التي اختلف فيها العلماء معنى (أجل) الذي تخرج إليه (إن) , كقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ رَّانٌ} طه : 69. واختلفوا أيضا في المعنى الذي تخرج إليه (لكن) فيرى أغلبهم أنها تخرج للاستدراك , ومنهم من يرى أنها للتأكيد وذهب آخرون إلى أنها للإضراب , وكذلك اختلفوا في المعاني التي تخرج إليها (كأن) و (لعل).

ولعلّ اختلاف العلماء في المعنى يُنبئ عن التطوّر الدلالي للمفردات لتخرج من دلالة إلى أخرى حسب سياقها , فالسياق قد يُخرج هذه الحروف عن حرفيتها لتصبح حرف جواب كما تبين .

(1) انظر : ابن هشام , أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ج1: 328, وانظر : أبا العرفان , حاشية الصبان على شرح الأشموني , ج1: 424, وانظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص491-492, وانظر : السنهوري, شرح الأجرومية , ج1: 301.

المسألة الأولى : الخلاف في معنى (أجل أو نعم) الذي تخرج إليه (إن) :

اتفق العلماء على أنّ (إنّ و أنّ) تفيدان التأكيد كقولك : (إنّ السماء صافية) - الأصل أن تكون الجملة خبرية لمن يسمع الخبر لأول مرة , فهو خالي الذهن , كقولك : (العلم نافع) , وأما قولك : (إنّ العلم نافع) فهو لمن يتردد في تصديق الخبر, فجاءت (إنّ) لتزيل هذا الشك من ذهن المتلقي , فأكدت الخبر , وقد تأتي اللام المزحلقة في خبرها ؛ لتصيح الجملة أكثر تأكيدا للمتلقي المنكر للخبر كقولك : (إنّ العلم لنافع) , إذ صار الخبر أكثر قوة مع المؤكدين (إنّ, واللام) - (1) , ولكنهم اختلفوا في المعاني التي قد تخرجان إليها غير التأكيد , فذهب سيبويه (ت 180هـ) إلى أنها قد تأتي بمعنى (نعم) فلا تعمل , كقولك : (إنّ يا أحمد) أي : أجل يا أحمد (2) , وهذا مذهب الأخفش (ت 211هـ) , واختاره ابن مالك (ت 672هـ) (3) , وأجازه الكسائي (ت 189هـ) (4) . وممن خالف هذا المذهب أبو عبيدة (ت 209هـ) وتبعه في ذلك ابن عصفور (5) (ت 669هـ) .

واحتجّ سيبويه (ت 180هـ) ومن اتبعه , بما سمع من قول العرب : كقول ابن الزبير:
"إنّ وصاحبها" (6) في الردّ على من قال : "لعن الله ناقة حملتني إليك" (7) .

-
- (1) انظر: الخطاب , الكواكب الدرية , ص 251.
 - (2) انظر : سيبويه , الكتاب , ج 3: 151.
 - (3) انظر : أبا حيان , أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (1998). ارتشاف الضرب من لسان العرب , تحقيق : رجب عثمان محمد , ط 1, القاهرة : مكتبة الخانجي , ج 3: 138, وانظر : السنهوري , شرح الأجرومية في علم العربية , ج 1 : 316.
 - (4) انظر : العكبري , اللباب في علل البناء والإعراب , ج 1: 219.
 - (5) انظر : ابن عصفور, شرح جمل الزجاجي , ج 1 : 444 .
 - (6) المصدر السابق .
 - (7) المصدر السابق , وانظر: ناصيف , جرجس (2010). المعجم المبين موسوعة في أدوات النحو وشوارده, تحقيق : جوزيف إلياس , دمشق : دار النمر, ص 105.

وعليه جاز أن يردّ بها بالإيجاب: كردك لمن قال : (رحم الله موتانا) , فنقول : (إنّ والقائل) أي : نعم والقائل كذلك (1) ومنه قول الشاعر :

ويُقلنَ : شيبٌ قدَّ علًا لكَ وقدَّ كبرتَ فقلتُ : إبه⁽²⁾

والشاهد هنا بقوله : (إبه) وخرجه سيبويه(ت 180 هـ) على أن (إنّ) حرف تصديق للخبر بمنزلة (أجل) , والهاء للسكت⁽³⁾ , وكان تخريج الأخفش (ت 211هـ) قريبا منه , إذ قال : "إنّ بمعنى نعم , والهاء لبيان الحركة وكانت خطباء قريش تفتتح خطبتها بنعم"⁽⁴⁾ , وهو يحتج بافتتاح العرب كلامهم بنعم , إذ تلاقت مع موقع (إنّ) التي يفتتح بها الكلام.

أما أبو عبيدة (ت 209 هـ) فذهب إلى أن خبر (إنّ) محذوف لفهم المعنى , والهاء اسمها وأنّ معنى الجواب غير موجود فيه⁽⁵⁾ , وهذا ما ذهب إليه ابن السراج (ت 316هـ) وابن عصفور (ت 669هـ) إذ استقر عملها من نصب ورفع وشد مجيئها حرف جواب , ولا يختل عملها ولا كونها مؤكدة إذا حذف اسمها أو خبرها أو كلاهما⁽⁶⁾ , واحتج بقول الشاعر :

أفدَ الترحُلُ غيرَ أنَّ ركبنا لَمَّا نزلُ برحالنا وكانَ قد⁽⁷⁾

والشاهد في قوله : (كان قد) أي : كأن قد زالت , فحذف الخبر لفهم المعنى المراد.

-
- (1) انظر : سيبويه , الكتاب , ج3: 151, وانظر : ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1: 444-445, وانظر: الأندلسي , ارتشاف الضرب من لسان العرب , ج3: 138
- (2) البغدادي , خزنة الأدب , ج 11: 213, ونسب البيت لعبد الله بن قيس الرقيات والشاهد في قوله : (إنه) بمعنى (نعم). أما البيت الذي قبله : "بكرت عليّ عواذلي يلحنيني وألومهنه" وعقب عليه السيرافي قائلا : " يلحنيني : يلمني على الهوى والغزل, وألومهنّ على لومهنّ لي, ويقلن لي قد شبت وقد كبرت , فأقول نعم, يريد أنه يأتي على علم فيه بأمر" انظر: السيرافي شرح أبيات سيبويه , ج2: 247-284.
- (3) المصدر السابق.
- (4) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج 11: 214.
- (5) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج 11: 214, و انظر : ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1: 444.
- (6) المصدر السابق , و انظر : ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1: 444.
- (7) انظر : ابن عصفور , شرح جمل الزجاجي , ج 1: 445.

وأما احتجاج أبي عبيدة (ت 209هـ) بما قاله الشاعر : " لَمَّا نزلُ برحالنا وكانَ قد " فلا يقاس عليه قول ابن الزبير : (إنّ وراكبها) ؛ وذلك لاختلاف التركيب , فقد جاءت في قول

ابن الزبير منفردة ففيها من التأكيد معنى الإجابة بـ (أجل) , بخلاف ما جاء في قول الشاعر:
(كأن قد) , فقد حذف الخبر مع بقاء القرينة الدالة عليه (قد).

واستشهاد سيبويه (ت180هـ) بقول الشاعر: " وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ : إِنَّهُ " فتقدير الخبر لفهم
المعنى أقرب من كونها بمعنى (أجل) , فقد يكون تسكين الهاء ليس للوقف ولكن للضرورة
الشعرية , فهو يؤكد ما قالتها النساء من علو الشيب رأسه , فالخبر يفسره جنس الفعل المذكور
الدال عليه كأنه قال : (إنه علاني أو إنه كذلك)⁽¹⁾.

فالإجابة بـ (نعم أو أجل) لمن قال : (أذهب الرجل) فـ (نعم وأجل) تؤكد الخبر وتزيل
الشك عنه , وهكذا تلاقت مع (إن) التي تؤكد الخبر وتزيل الشك عنه , كقولك : (إنّ العلم نافع)
لمن يشك في نفع العلم , وهذا الالتباس الذي سببه المعنى يجيز مجيء (إنّ) بمعنى (نعم أو
أجل) عند انعدام القرينة الدالة – كما تبين – على عمل (إنّ) لشبهها بالفعل.

(1) انظر : البغدادي , خزانة الأدب , ج11 : 214, وانظر : السنهوري , شرح الأجرومية في علم العربية , ج1 : 316 .

المسألة الثانية: الخلاف في (إنّ) المخففة إذا جاءت بعد (ما) النافية أزاندة أم نافية :

اختلف النحاة في المعنى الذي تذهب (إن) المخففة من الثقيلة عند مجيئها بعد (ما) النافية ؛ لتأثر السياق به , فذهب البصريون إلى أنها كافة لـ (ما) عن العمل , كقولك : (إنما الصدق منقذ صاحبه) , وهذا مذهب سيبويه (ت 180هـ) إذ قال : إنها بمعنى (ما) وتصرف الكلام إلى الابتداء⁽¹⁾ , أما الكوفيون فذهبوا إلى أنها نافية⁽²⁾.

واستدلّ الكوفيون بما نُقل من كلام العرب , فاحتج يعقوب ابن السكيت (ت244هـ) بقول الشاعر :

بَنِي عُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمْ دَهَبًا وَلَا صَرِيْفًا وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْخَرْفُ⁽³⁾

والبيت بلا نسبة , والشاهد في قوله : (ما إن أنتم ذهباً) , إذ جاءت (إن) نافية , ونصب (ذهبا) على أنها خبر (ما) التي تعمل عمل (ليس) . واستدلوا أيضا بقول الشاعر:

لَا يُنْسِيكَ الْأَسَى تَأْسًا فَمَا مَا مِنْ حَمَامٍ أَحَدٌ مَعْتَصِمًا⁽⁴⁾

والبيت بلا نسبة , ومعناه أنه لا ينسيك ما أصابك من الألم على من فقدت ولم تعتبر ممن سبقك بهذه التجربة فلا يوجد أحد معصوم من الموت , والشاهد في قول الشاعر : (فما ما من حمام أحد معتصما) تكرر (ما) النافية مع بقاء العمل فقد رفعت (أحد) على أنه اسمها , ونسبت (معتصما) على أنه خبرها.

(1) سيبويه , الكتاب , ج3: 152-153 , وانظر : ابن هشام , مغني اللبيب عن كتب الأعراب , ج1: 33. وسيبويه لا يجيز عمل (إن) النافية إذا دخلت على الجملة الاسمية , كقولك : (إن أحمد قائم) , وهو مذهب الفراء أيضا ؛ إذ يرون أنها حرف نفي دخل على مبتدأ وخبر كما تدخل ألف الاستفهام على الجملة الاسمية , فالحروف التي لا تختص فلا تعمل على القياس , أما الكسائي والمبرد فأجازا عملها عمل (ليس) , كقولك : (إن أحمد قائم) بنصب قائم على أنه خبر(إن).

(2) انظر : البغدادي خزنة الأدب , ج4: 119 , وانظر : الزجاجي , الجمل في النحو , ص351-352 , وانظر : المبرد , المقتضب , ج1: 622-623 , وانظر : الرماني , معاني الحروف , ص75-76.

(3) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج4: 119.

(4) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج4: 120.

على بقاء العمل إذا تكرر معنى النفي , واستدلّ الفراء (ت207هـ) أيضا على جواز تكرار ثلاثة حروف نافية بقول الشاعر : "ما إنْ لا أبينها" , وأوضح شذوذ هذا النوع من النفي⁽¹⁾ . وأما البصريون فاستدلوا بقول الشاعر :

فما إنْ طَبْنَا جُبْنَ ولكنْ مَنَانَا ودَوْلَةُ آخِرِينَا⁽²⁾

ونسب هذا البيت إلى فروة بن مسيك , والشاهد في قوله : (فما إنْ طَبْنَا) , إذ جاءت (إن) كافة لعمل ما الحجازية التي تعمل عمل ليس.

على أنّ (إن) تكف عمل (ما) فيبطل عملها مع بقاء معنى النفي الحاصل , كما تكف (ما) الحروف المشبهة بالفعل عن العمل . أما ما استدلّ به الكوفيون فقد يأتي على لغة قوم معينة , إذ تبين شيوع إبطال عمل (ما) . أما قول الشاعر :

بَنِي عُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمْ دَهَبًا وَلَا صَرِيْفًا وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْخَرْفُ⁽³⁾

ففيه رواية بالرفع⁽⁴⁾؛ ليضعف الاحتجاج به , ومن وجه آخر كما تبين عدم اجتماع مؤكدين في قول العرب : (لهنك)⁽⁵⁾ , فيشذ اجتماع نافرين قياسا عليه . ولعل معنى التأكيد الباقي مع زيادة (إن) على السياق هو ما يوحي معنى النفي لها.

(1) انظر : الفراء , معاني القرآن , ج 1 : 480 , وانظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج 4 : 121 . قاله النابغة الذبياني , وفيه روايتان أما الرواية الأولى , فهي ما جاء بها الفراء وأتبعها :
وَقَفْتُ فِيهَا أُصِيلَانَا أَسَائِلَهَا عَيَّتْ جَوَابَا وَمَا بِالرَّيْعِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا أَوَارِي مَا إِنْ لَا أْبِينَهَا النَّوَى كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَدِّ
والشاهد هنا بقوله : (ما إنْ لا أبينها النوى) وهو جواز تكرار الحروف النافية , أما الرواية المنسوبة للجمهور فهي :
(لأيا ما أبينها).

(2) انظر : سيبويه , الكتاب , ج 3 : 153 , وانظر : الرماني , معاني الحروف , ص 76 . البيت من الوافر .

(3) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج 4 : 119 .

(4) انظر : ابن هشام , مغني اللبيب عن كتب الأعراب , ج 1 : 147 . ويخرج على أنها مؤكدة لمعنى النفي .

(5) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 170 . فأصل الكلام (لأنك) , إذ لا يجوز اقتران مؤكدين , فأبدلت همزة (إن) بالهاء .

فهل النفي حاصل قبل مجيئها فزيدت عليه تقوية بنفس المعنى كما يرى الكوفيون؟⁽¹⁾ أم دخلت (ما) على الجملة المؤكدة - إن أنتم ذهب- لتنفي الخبر المؤكد؟ ودخول النفي على كلام مؤكد يبطل عمل كليهما كما دخلت (ما) على (إن) وأبطلت عملها كقولك : (إنما العلم نافع)⁽²⁾ ؛ لنفي النفع الحاصل على غير العلم لتختص الفائدة بالعلم , ومع مجيء (ما) النافية بعد (إن) كفتها عن العمل وكذلك العكس.

وأما قول الشاعر:

لا يُنْسِكُ الأَسَى تَأْسِيًّا فَمَا مَ مِنْ حَمَامٍ أَحَدٌ مَعْتَصِمًا⁽³⁾

فقد روي بالرفع أيضا لتضعف الحجة فيه⁽⁴⁾ , وأما تكرار النفي في تكرار (ما) ففيه إضمار لمنفي (ما) الأولى , كأنه قال : (لا ينسك الأسي تأسيا فلم ينسك الأسي), وهذا من طبع العرب وخاصة في الشعر فهم يحذفون الكلام غالبا إذا فهم المعنى , فقد سمع من كلام العرب (إن قائم) أي : إن أنا قائم⁽⁵⁾.

ومن جهة أخرى فإنّ التكرار الذي جاء في هذا الشاهد فهو تكرار لفظي , بخلاف تكرار المعنى الذي توهمه الكوفيون فلا يقاس عليه . ولم يجز التكرار لمعنى التأكيد كقولك : (إنّ أنّ عليا قائم) كما لم يجز اجتماع لام الابتداء و(إنّ)⁽¹⁾ وعليه استقبح تكرار النفي⁽²⁾ , كما لا يقاس قولك : (ما إن علي صائم) على قولك : (إن علي إلا صائم) , فالأولى على نفي الصيام عن علي والثانية على الإيجاب فأكد صيام علي⁽³⁾؛ ليقصر الخلاف على لغة معينة , فما شاع من كلام العرب هو زيادة (إنّ) بعد (ما) النافية.

-
- (1) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج4: 119.
 - (2) انظر : السخاوي , المفضل في شرح المفصل , ص147- 153.
 - (3) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج4 : 120.
 - (4) المصدر السابق . والرفع هو رواية الجمهور.
 - (5) انظر : ابن هشام , مغني اللبيب عن كتب الأعراب , ج1: 34.
 - (6) انظر : الفارسي , التعليقة على كتاب سيبويه, ج2: 263 - 267, وانظر : سيبويه , الكتاب , ج3: 124.
 - (7) انظر : القوجوي , شرح قواعد الإعراب لابن هشام , ص119.
 - (8) انظر : الفارسي , التعليقة على كتاب سيبويه , ج2: 266.

المسألة الثالثة : الخلاف في المعنى الذي تخرج إليه (لكن) :

اختلف النحاة في المعنى الذي تخرج إليه (لكن) فأغلبهم يرى أنها تفيد الاستدراك⁽¹⁾ ولكنهم اختلفوا في معنى الاستدراك وتعريفه , ومنهم من يرى أنها للتأكيد وهذا مذهب ابن عصفور الإشبيلي (ت 669هـ)⁽²⁾ ومذهب أبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)⁽³⁾ , ومنهم من يرى أنها لكلا المعنيين وهذا مذهب الرماني (ت 384هـ)⁽⁴⁾ وابن مالك (ت 672هـ)⁽⁵⁾ وابن هشام (ت 761هـ)⁽⁶⁾ , ومنهم من ذهب إلى أنها قد تخرج للإضراب وهذا مذهب الزجاجي (ت 340هـ) والمالقي (ت 702هـ) . وتكون بمنزلة (بل) عند الزجاجي كما قال : "ردا للجواب وتحقيقا" كقولك : (ما نجح أحمد لكن خالد) . وهذا المعنى مختص في (لكن) الخفيفة والمخففة , وهي على وجهين أما الأول : فهو أن تكون حرف عطف كما في المثال , إذ تربط بين الاسمين والفعالين في اللفظ لا غير , ويجب وقوع النفي قبلها , وهي تفيد الاستدراك , وقد تأتي حرف ابتداء كـ (و , و ثم) ؛ وذلك إذا جاء بعدها المبتدأ كقولك : (غادر خالد ولكن أحمد نائم) ومعناه الاستدراك , وتخرج للإضراب إذا كانت حرف ابتداء أيضا , كقوله تعالى : {لَكِنَّ اللَّهَ يَنْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} (النساء:166) , وقد تحذف نونها للضرورة الشعرية , كقول الشاعر من الطويل :

" فَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكَ اسْتِغْنِي إِنْ كَانَ مَأْوِكَ ذَا فَضْلٍ "

وهذه الخفيفة. أما المخففة فلا يليها إلا الجملة الاسمية كقولك : (ما علي نائما لكن خالد) أي : النائم , ولم يسمع عن عملها , وإذا جاءت مخالفة للحكم كقولك : ما أحمد جالسا لكن قائم , أي : هو قائم , دللت على عدم الاشتراك بالحكم مثل (بل) لتخرج للإضراب⁽⁷⁾

-
- (1) انظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص 615 , وانظر : ناصيف , المعجم المبين , ص 410-411 , وانظر السامرائي , معاني النحو , ج 1 : 309 .
- (2) انظر : ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعراب , ج 1 : 392 .
- (3) انظر : أبا حيان , أثير الدين أبا حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (1982) . تقريب المقرب , تحقيق : عفيف عبد الرحمن , ط 1 , بيروت : دار الميسرة , ص 55 .
- (4) انظر : الرماني , معاني الحروف , ص 133 .
- (5) انظر : أبا العرفان , حاشية الصبان على شرح الأشموني , ج 1 : 423 . إذ أجاز التوكيد على قلة , ومنه قولك : (لو أتى السائل لأجيبته ولكنه لم يأت) .
- (6) انظر : ابن هشام , أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ج 1 : 328 .
- (7) انظر : المالقي , رصف المباني , ص 276 , وانظر : الزجاجي , حروف المعاني , ص 33 .

أما معنى الاستدراك المُختلف فيه فقيل : هو " تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته"⁽¹⁾ كقولك : (أحمد سريع ولكنه ليس رياضياً)⁽²⁾ , أو "إثبات ما يتوهم نفيه"⁽³⁾ كقولك : (أحمد سريع لكنه رياضي)⁽⁴⁾ , وذهب الدماميني (ت827هـ) إلى أن رفع التوهم هو الغالب وليس بواجب⁽⁵⁾ كقولك : (لو صدق الرجل لأفرجت عنه ولكنه لم يصدق) , وقيل : هو "أن يثبت حكماً لمحكوم عليه يخالف الحكم الذي للمحكوم عليه قبلها"⁽⁶⁾ بشرط أن يسبقها كلام ظاهر أو مفهوم من السياق مع مخالفة ما قبل (لكن) لما بعدها⁽⁷⁾ .

وهكذا نرى تعدد التعريفات لمفهوم الاستدراك , وكل التعريفات التقت في زيادة توضيح ما بعد (لكن) لما قبلها من كلام , كقولك : (محمد صائم لكنه لا يصلي) فقد أوضحت أن صيامه بلا صلاة لوجود القرينة بين الصلاة والصيام , فرفع التوهم مستوجب كما نرى.

أما ما ذهب إليه الدماميني (ت827هـ) من أغلبية رفع التوهم فهو كقولك : (لو صدق الرجل لأفرجت عنه ولكنه لم يصدق) , فهنا نرى زوال معنى الاستدراك الحقيقي ؛ وذلك لاستغناء ما قبل (لكن) عما بعدها فصارت جملة (لكن) زائدة للتوضيح مؤكدة لما قبلها .

وما ذهب إليه ابن عصفور (ت669هـ) في (المثل المقرب) حيث قال : " إن زيدا قائم, ولكنّ عمرا منطلق , وبلغني أنّ عمرا خارج , وكُتبت القيام بأن والانطلاق بلكن والخروج بأن , فمعنى هذه الحروف هو التأكيد"⁽⁸⁾ فلم تتضح حالة السياق التي ترتبط بها (لكن) كما سبق ذكره⁽⁹⁾ , أما ظاهر كلامه ففيه نظر , إذ ألزمها التوكيد .

(1) الخضري , حاشية الخضري , ج:1: 129, وانظر : أبا العرفان , حاشية الصبان على شرح الأشموني , ج:1: 423.

(2) وفي هذا المثل عقب الكلام بزوال ما قد يخطر عند المتلقي من اقتران السرعة بالرياضة .

(3) الخضري, حاشية الخضري , ج:1: 129, وانظر أبا العرفان , حاشية الصبان على شرح الأشموني , ج:1: 423.

(4) وفي هذا المثل أثبت الكلام بما قد يتوهم نفيه من انفصال السرعة عن الرياضة .

(5) انظر : أبا العرفان , حاشية الصبان على شرح الأشموني , ج:1: 423.

(6) السيوطي , همع الهوامع , ج:1: 426.

(7) المصدر السابق , وانظر : أبا العرفان , حاشية الصبان على شرح الأشموني , ج:1: 423.

(8) ابن عصفور (2006). مثل المقرب , تحقيق : صلاح سعد محمد المليطي, ط1, القاهرة : دار الأفاق العربية ,

ص172.

(9) أي في رأي الأول عن معنى الاستدراك.

أما الرأي الثالث فهو ما ذهب إليه الرماني (ت384هـ) وابن مالك (ت672هـ) وابن هشام(ت761هـ) , وهو الصواب , فبقولك : (علي مهذب لكنه يغضب سريعا) , ليطغى الاستدراك على معنى التأكيد ,حتى لا يتوارد في ذهن المتلقي بأن تهذيبه يعني عدم غضبه لنجد جملة (لكنّ) تزيل الالتباس من ذهن المتلقي⁽¹⁾ , وأما معنى التأكيد - وهو على قلة - كقولك : (لو نجح أحمد لأكرّمته ولكنّه لم ينجح)⁽²⁾ , إذ جاءت (لكنّ) بعد كلام مفهوم مستغن عما بعده؛ وذلك لمعنى (لو) , فهو حرف امتناع لامتناع الوجود⁽³⁾ , وهذا المعنى يلغي الاستدراك ؛ لامتناع وجود الفعل (الخبر) , الذي سيقع عليه استدراك الفهم عند المتلقي لتدخل(لكنّ) محور التأكيد غير المباشر .

وأما ما ذهب إليه الزجاج (ت340هـ) والمالقي (ت702هـ) ففيه توسع لمعنى الاستدراك ليخرج إلى معنى الإضراب كقولك : (ما أحمد ذاهبا لكن مقيم)⁽⁴⁾ ؛ وذلك على تقدير المبتدأ , وهنا يوجد مخالفة حكم ما قبلها لما بعدها ليدخل معنى الاستدراك⁽⁵⁾ , فالأغلب أن المالقي قد قاس معنى (لكن)على(بل) ؛ لعدم عملها , وعدم الاشتراك في الحكم ؛ ليبطل ما ذهب إليه والله أعلم.

-
- (1) انظر : الرماني , معاني الحروف , ص133, وانظر : أبا العرفان , حاشية الصبان على شرح الأشموني , ج:1: 423, وانظر : ابن هشام , أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ج:1: 328
- (2) انظر : ابن هشام , أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ج:1: 328.
- (3) انظر : الزجاجي , حروف المعاني , ص3.
- (4) انظر : الزجاجي : حروف المعاني , ص33.
- (5) انظر : أبا العرفان , حاشية الصبان على شرح الأشموني , ج: 1 : 423.

ولعل الأرجح ما ذهب إليه ابن مالك (ت672هـ) ، فقد شاع معنى الاستدراك لها ، وهو ما خصها دون سائر أخواتها ، فتوسطت التركيب ؛ لتزيل الالتباس الحاصل فيه ، ففي قولك : (خالد نشيط لكنه غير رياضي) جاءت (لكن) فأزالت الالتباس المتوقع حصوله عند المتلقي من اقتران النشاط بالرياضة ، وهذا المعنى الأصل ، وأما التأكيد فلا وجود للالتباس في أصل التركيب ، ومجيء (لكن) في السياق لم يكن ضرورة للسياق بل تكرارا للمعنى ، كقولك : (لو نام لارتاح ولكنه لم ينم) فالاستدراك كان أضعف من الامتناع الحاصل في (لو) وهو سابق الاستدراك ، فكأننا نبتدئ بـ (لكن) مع تكرار المعنى المتوارد في ذهن المتلقي (عدم النوم) ؛ ليكسب هذا التكرار التأكيد لحرف الابتداء (لكن) ؛ وذلك لفقدانه معنى الاستدراك (المعنى الأصل).

المسألة الرابعة : الخلاف في المعنى الذي تخرج إليه (كأن) :

أجمع البصريون على أن معنى (كأن) التشبيه ولا تخرج لغيره , وذهب ابن مالك (ت 669هـ) إلى أنها للتشبيه المؤكد⁽¹⁾ , كقوله تعالى : { كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ } المدثر : 50. فإن الأصل فيها (إنهم كالحمر المستنفرة)⁽²⁾ إذ تقدمت الكاف وفتحت همزة (إن) وركبت الكاف معها فصارت كالحرف الواحد. أما الكوفيون و الزجائي (ت 339هـ)⁽³⁾ فخرجوها لأكثر من معنى⁽⁴⁾ , ويرى الزجائي أنها تخرج إلى ثلاثة وجوه من المعاني هي : التشبيه كقولك : (كأنه بدر) والشك والتحقيق. ومن هذه المعاني التحقيق والوجوب⁽⁵⁾ , كقول الشاعر :

كَأَنِّي حِينَ أَمْسِي لَا تُكَلِّمُنِي نُو بَعِيَّةٍ يَشْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا⁽⁶⁾

وقول الشاعر:

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْسَعِرًا كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ⁽⁷⁾

وقد اتخذ السيوطي مذهب الكوفيين , إذ أكد معنى التحقيق بقوله : " هذا من باب تجاهل العارف " أي قياسا على دخول (إن) على الجملة الاسمية كقولك : (إن زيدا رحل) لمن يشك في رحيله.

-
- (1) انظر : ابن الناظم , شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك , ص 116, وانظر : السامرائي , معاني النحو , ج 1: 311. الموصلي , شرح كافية ابن الحاجب , ج 2: 636.
- (2) انظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص 570, وانظر , ابن الناظم , شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك , ص 116. وهذا مذهب ابن مالك .
- (3) انظر : الزجائي , حروف المعاني , ص 28.
- (4) انظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص 570 , وانظر : السيوطي , همع الهوامع , ج 1: 427, وانظر : السامرائي , معاني النحو , ج 1: 311.
- (5) انظر : الزجائي , حروف المعاني , ص 28.
- (6) ونسب البيت لعمر بن أبي ربيعة. انظر : ابن أبي ربيعة , عمر (1996). ديوان عمر بن أبي ربيعة , تحقيق : فايز محمد , ط 2, بيروت : دار الكتاب العربي , ص 106, وانظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص 571.
- (7) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج 1: 429 , وانظر : المرادي الجنى الداني في حروف المعاني , ص 571. ونسب البيت للحارث بن خالد .

أما المعنى الثاني فهو الشك بمقام الظن , وهذا مذهب الزجاج(ت339هـ) و ابن طراوة (ت528هـ) ⁽¹⁾ وابن السيد(ت 521هـ), إذ اشترط ابن السيد حتى تخرج للشك أن يكون خبرها فعلا أو جملة أو صفة ⁽²⁾ فالفعل كقولك : (كأن الطفل طار) , والجملة كقولك : (كأن الطفل أخوه طائر) , والوصف كقولك : (كأن الطفل طائر). واحتجوا بقولهم لا يشبه الشيء بنفسه كقولك : (كأن يوسف صائم) ⁽³⁾ .

أما المعنى الثالث فهو التقريب , وهو مذهب الكوفيين كقولك : (كأنك بالصيف راحل) فالمعنى على رأيهم : هو تقريب موعد الرحيل ⁽⁴⁾ , وقد تكون للجحد أو التمني وهذا مذهب الكسائي(ت 189هـ) أما الجحد فكقولك : (كأنك تعلم اللغة فتعلمنا) ⁽⁵⁾ وأما التمني كقولك : "كأنك بي قد قلت الشعر فأجيدته" ⁽⁶⁾ . وقد ذهب السيوطي (ت911هـ) إلى أنها تخرج للتشبيه والإنكار والتعجب, كقوله تعالى : {وَيَكَاثُهَا لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} القصص :82. وذلك بفصل (وي) عن (كأن) , وكقولك : (تأخرت بالدراسة كأنني لا أدري) ⁽⁷⁾ .

والأرجح هو أن تكون كل هذه المعاني للتشبيه , ويمكن القول بأن الكوفيين قد توسعوا في معنى التشبيه ليخرج إلى هذه المعاني , فأما استشهادهم بقول الشاعر :

كأنني حينَ أمسي لا نُكلمُني ذو بغيّةٍ , يَشْتَهِي ما ليسَ موجودا ⁽⁸⁾

فقد شبه الشاعر نفسه عندما يمسي دون أن يكلم من يجب بالأمر الذي يطلب المستحيل , وقال عنه المرادي (ت 749هـ) "التشبيه فيه بين بأدنى تأمل" ⁽⁹⁾

(1) أبو الحسن سليمان بن محمد بن طراوة .

(2) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج 1: 427, وانظر : المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص572.

(3) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج 1: 427 , وانظر : الخصري , حاشية الخصري , ج 1: 128.

(4) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج 1: 427 , وانظر: المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص573.

(5) انظر : ابن منظور, لسان العرب , مادة (أذن).

(6) المصدر السابق.

(7) انظر: السيوطي , همع الهوامع , ج 1: 427.

(8) المرادي , الجنى الداني في حروف المعاني , ص571.

(9) المصدر السابق .

و أما قول الشاعر :

فأصيحَ بطنُ مَكةٍ مُشعِراً كأنَّ الأرضَ ليسَ بها هِشامُ⁽¹⁾

ففيه نظر أيضاً , فهشام سيد قومه وصاحب شأن عظيم عندما مات اقشعر بطن مكة⁽²⁾ - مكان إقامة هشام- فشبه الأرض التي ضمت بيطنها هشاما وتزلزلت كأنها لا تضم بداخلها هشاما , وذهب ابن مالك (ت669هـ) إلى أن الكاف من (كأن) للتعليل وهي ترادف اللام فكأنه قال : لأن الأرض ليس بها هشام⁽³⁾ , وقد يفهم من هذا التأويل أن ابن مالك قد خرج (كأن) للتعليل وهذا بعيد , إذ جعل الكاف منفردة عن حكم (كأن) ثم قاسها على حرف اللام فلا يقاس عليه معنى (كأن).

أما ما قيل عن خروجها للشك بأن الشيء لا يشبه بنفسه , كقولك : (كأن يوسف صائم), فلم تخرج عن إطار التشبيه أيضا , فالتشبيه يتسع لوصف الحالة, فقد شبه حالة يوسف - من تعب بما يطرأ من أثر الصيام على الصائم - بحالة الصائم , وقد قال المرادي (ت 749هـ) : "الشيء يشبه في حالة ما به في حالة أخرى"⁽⁴⁾ وخرجه السيوطي (ت911هـ) على تأويل قولك : (كأن هيئة يوسف هيئة صائم)⁽⁵⁾.

وأما ما ذهب إليه الكوفيون من خروج (كأن) إلى التقريب كقولك : (كأنك بالصيف مقبل) , فلم تخرج من إطار التشبيه أيضا , فقد شبه ما طرأ على المخاطب بضمير (ك) من تغير مظهره على الأرجح كالملايس الخفيفة , فهي قد توحى بقدوم الصيف لأنها أحد مظاهره , فشبه حالة المخاطب المقبل بالشتاء كأنه قادم بالصيف , وقد خرجه أبو علي الفارسي(ت377هـ) على أن الكاف للخطاب والباء زائدة والتقدير (كأن الصيف مقبل)⁽⁶⁾.

(1) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 429.

(2) انظر : الدماميني , بدر الدين(2011). تحقيق : محمد بن مختار اللوحي , تحفة الغريب في الكلام على معني اللبيب قسم الأدوات والحروف , إربد , عالم الكتب الحديث , ج2 : 670. قد يعني باطن الأرض أي : داخلها.

(3) انظر : المرادي , الجنى الداني , ص 572, وانظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 427.

(4) المرادي , الجنى الداني , ص 573.

(5) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 427.

(6) انظر : المرادي , الجنى الداني , ص 573.

ولعل تخريج أبي علي الفارسي (ت377هـ) ضعيف ؛ وذلك من جهتين أما الجهة الأولى فهي ضعف المعنى بعد التخريج ليقصر على حالة الجوف نفسه دون حالة المخاطب ، وأما الجهة الثانية على جعل الباء والكاف زائدين وهذا محال.

وذهب آخرون إلى تخريجه على حذف المضاف والتقدير (كأنّ زمانك بالصيف مقبل)⁽¹⁾ وهذا تكلف ، فالمعنى المراد هو حالة الشخص نفسه لا زمانه ، ولعل تخريج ابن عصفور (ت 669هـ) أكثر تكلفا ، إذ ذهب إلى أن الكاف للخطاب وكأنّ غير عاملة فهي ملغاة والباء زائدة قياسا على الباء في (بحسبك) والصيف (مبتدأ) و مقبل (خبر) المبتدأ⁽²⁾ ، وتخريجه ضعيف لعدة أسباب : أما الأول فهو جعل (كأنّ) ملغاة وزيادة الكاف والباء وهذا بعيد ، أما الثاني فهو خروج المعنى المراد بعد التأويل فعلى رأيه يصبح الكلام (الصيف مقبل) هذا بعيد أيضا كما اتضح⁽³⁾ ، وتخرج أيضا على قول بعضهم: على أن ضمير المخاطب (ك) هو اسمها وشبه الجملة (بالصيف) هي الخبر وما بعدها حال مع عدم استغناء الكلام عنه⁽⁴⁾ قياسا على قوله تعالى : { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ } المدثر : 49. أما ما أراه تخريجا راجحا فهو ما يتأول من قول الحسن البصري (ت 110هـ) ، فتخرج على أن ضمير المخاطب (ك) اسم كأن وشبه الجملة (بالصيف) متعلقة بالخبر (مقبل) على التقديم والتأخير فأصل الكلام (كأنك مقبل بالصيف)⁽⁵⁾ وقوة هذا التخريج بمحافظته على معنى السياق المتعلق بالحالة المقصودة من المتكلم للمخاطب على التقديم والتأخير.

(1) انظر: المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص573- 574.

(2) المصدر السابق.

(3) في الحديث عن معنى التحقيق والشك.

(4) لأن الحال من الفضلات يأتي زيادة على التركيب كقولك : (جاء الرجل مبتسما) فالفعل لازم ، و(مبتسما) حال قد استغنى عنه الكلام لكنه جاء بعد التركيب - الفعل اللازم والفاعل- لتوضيح السياق.

(5) انظر : المرادي ، الجنى الداني في حروف المعاني ، ص573- 574.

أما ما ذهب إليه الكسائي (ت 189هـ) من خروجها إلى الجحد , كقولك : (كأنك تعلم اللغة فتعلمنا) , ففيه توسع لإطار التشبيه - كما سبق ذكره- إذ شبه المخاطب بمتقن اللغة وهو بالأصل لا يتقنها , ليعتمد على التشبيه لغاية السخرية والتهكم أو الجحد كما تبين. وأما التمني كقولك : (كأنك بي قد قلت الشعر فأجيده) , فعلى الأرجح هو تركيب شاذ , وقد خرج الرضي (ت686هـ)⁽¹⁾ على الحذف فأصل الكلام (كأنك تبصر بي الشعر فأجيده)⁽²⁾ وهو الأرجح.

أما ما ذهب إليه السيوطي (ت911هـ) من تخريج المعنى إلى التعجب والإنكار , كقولك: (تأخرت بالدراسة كأنني لا أدري) , فقد شبه حالته التي يعرفها من تأخر الدراسة بحالة الساهي عنها , والشيء يشبه بنفسه كما قيل.

وهكذا يتضح سبب تعدد معاني (كأن) , فهو اتساع محور التشبيه ليخرج معبرا عن هذه المعاني - من خلال التشبيه - التي تصف الحالة , وحجة الكوفيين الشيء لا يُشَبَّه بنفسه فيها نظر , فالتشبيه يعمل على إظهار ما ليس ظاهرا بالأصل في الكلام نفسه فقد يكون هذا هو سبب توسع فهم التشبيه وتفرع معانيه عن الأصل (التشبيه).

(1) شارح كافية ابن الحاجب.

(2) انظر : السامرائي, معاني النحو , ج 1: 314.

المسألة الخامسة : الخلاف في المعنى الذي تخرج إليه (لعل) :

تعددت المعاني التي خرجها العلماء لـ (لعل) , فذهب الأخفش (ت172هـ) والكسائي (ت189هـ) إلى أنها قد تخرج للتعليل كقولك : (عد سالما لعلنا نفرح) فهي بمعنى (كي) أي : كي نفرح⁽¹⁾ وكقوله تعالى : {لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} طه :44. أما الكوفيون فذهبوا إلى أنها تخرج أيضا للاستفهام , كقوله تعالى : {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهَ يَزْغَى أَوْ يَذْكَرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} عبس : 2. وكقولك لمن تخاطبه : (لعلك قائم) أي : هل أنت قائم⁽²⁾ , وذهب الزجاجي (ت339هـ) إلى أنها قد تخرج للشك أو الإيجاب أما الشك فكقولك : (لعلّ محمدا يقوم) وأما الإيجاب⁽³⁾ فكقوله تعالى : {لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} الطلاق : 1 . فهي بمنزلة (قد) أي : قد يقوم محمد و (قد يُحْدِثُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا), وخرجها السيوطي (ت911هـ) للتشبيه كقوله تعالى : {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} الشعراء : 129 . وذلك قياسا على إحدى القراءات وهي في قراءة قوله تعالى : {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ كَأَنَّكُمْ خَالِدُونَ} ونسبت هذه القراءة إلى أبي بن كعب رضي الله عنه⁽⁴⁾.

-
- (1) السيوطي , همع الهوامع , ج1: 428.
- (2) انظر : ابن هشام , أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ج1: 329. و قد تأتي (عسى) بمعنى الترجي كـ(لعل) وتعمل عملها , بشرط أن يكون اسمها ضميرا كقول الشاعر :
"فَقُلْتُ عَسَاهَا نَارُ كَأْسٍ وَعَلَّهَا تَشْكَى فَآتِي نَحْوَهَا فَأَعُوذُهَا"
ونسب البيت لصخر بن عود الحضرمي , والشاهد فيه على مجيء (عسى) حرف بمعنى الترجي و نصبها لضمير الغائب على أنه اسمها ورفع خبرها (نار) وهي تعمل عمل الحروف المشبهة بالفعل.
- (3) انظر : الزجاجي , حروف المعاني , ص 30.
- (4) انظر : السيوطي , أبا الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(1993).الإتقان في علوم القرآن , تحقيق : مركز الدراسات القرآنية , مكة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف , الأمانة العامة للشؤون العلمية , ج4: 1167-1168.

و البصريون يرجعون كل هذه المعاني للترجي والإشفاق , أما الترجي فيختص بالأمر المحبوب المتوقع كقولك : (لعل أحمد يعود سالما من السفر) , أما الإشفاق فيختص بالأمر المكروه⁽¹⁾ كقوله تعالى : {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} الكهف: 6 . وكلا المعنيين يندرج تحت التوقع , وهو مذهب ابن مالك (ت672هـ)⁽²⁾ وابن عصفور (ت669هـ)⁽³⁾ أيضا.

وأما ما ذهب إليه الأخفش (ت172هـ) من خروج (لعل) للتعليل , فهو من باب توسع معنى الترجي كقولك : (عُدْ سالما لعلنا نفرح) , فالمعنى واضح بترجي فرحة العودة بعد الفراق , وما احتج به الكوفيون من قوله تعالى : {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} عبس: 2 . على خروجها للاستفهام فهو من باب التوسع أيضا لمعنى الترجي ؛ إذ يرتجي أمرا محبوبا وهو أن يتزكى , ولعلّ معنى السياق الذي اهتم به الكوفيون في الوصول إلى معاني القرآن والدقة في وصف المفردات ؛ هو ما أدّى إلى التوسع في الرجاء ليخرج إلى معان أخرى , فكتاب (معاني القرآن) للفراء (ت207هـ) خير دليل على طريقتهم في الوصول إلى المعنى , ولعلمهم حملوا معنى (لعل) على الموقف بمجمله , إذ جاء ابن مكتوم يسأل النبي عليه السلام فعبس به الرسول فعاتبه ربّ العباد بهذه الآية , فانتفاع ابن مكتوم مرجو أكثر من أشراف قريش , وهذا من خلال استقراء ما كتبه الفراء⁽⁴⁾ , إذ لم يخرج المعنى عن توقع المحبوب وهو الرجاء.

(1) السيوطي , همع الهوامع , ج: 1: 428

(2) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج: 1: 425, وانظر : ابن هشام , أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك , ج: 1: 329.

(3) انظر : ابن عصفور , المثل المقرب , ص: 172.

(4) انظر : الفراء , معاني القرآن , ج: 3: 235.

وأما ما ذهب إليه الزجاجي (ت 339هـ) من خروجها للشك أو الإيجاب كقولك : (لعلّ محمدا يقوم) وكقوله تعالى : {لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} الطلاق : 1. فكلا الشاهدين يندرج تحت التوقع, أما الشاهد الأول فالمتكلم يرجو قيام زيد لعجلة أمره فهو توقع المحبوب , ولو أردنا تجزئة المعاني التي يشتملها الرجاء , لخرج هذا الشاهد للاستفهام فالمتكلم قد يستفسر عن قيام أحمد أو الاستنكار فالمتكلم قد يستنكر جلوس أحمد أو الشك , وهكذا تتعدد المعاني التي قد تجتهد في استنباطها , وكذلك ما جاء في قوله تعالى فالمتوقع أمر محبوب , والزجاجي قد خرج للإيجاب إذ كان بالأصل للشك و احترازا لنفي هذا المعنى عن الله تعالى خرجه على الإيجاب - هذا ما أدى إلى تعدد المعاني كما سبق ذكره خاصة في كتاب الله تعالى - إذ لم يخرج عن معنى الرجاء.

أما ما ذهب إليه السيوطي (ت 911هـ) من خروجها للتشبيه كقوله تعالى : {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ} الشعراء : 129 . وهو ترجي محبي الخلود وهم قوم عاد الذين اشتهروا ببنيانهم فكانوا يرتجون طول العمر لتعدد نعم الله عليهم ولكنّ الله عذبهم لشركهم به⁽¹⁾ , فمعنى الرجاء واضح.

أما قراءة قوله تعالى : {وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ كَأَنَّكُمْ خَالِدُونَ} التي ارتكز عليها السيوطي لإثبات حجته فهي قراءة شاذة⁽²⁾ ومخالفة للرسم القرآني المطرد ولذلك لا حجة فيها , إضافة إلى بعد معنى التشبيه عن أصل المعنى , فالارتكاز ليس على تشبيه حالة طلب الخلود من خلال بنائهم القصور والأبراج بالجمال بل على ما يتوقعونه من طول العمر فهم يرتجون ذلك بدليل تشبيدهم لهذه القصور.

(1) انظر : ابن كثير, إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(2003). تفسير القرآن العظيم , ط1, عمّان : دار أسامة , ج3: 1509.

(2) انظر : السيوطي , الإتيان في علوم القرآن , ج4: 1167-1168.

والأرجح ما ذهب إليه البصريون , إذ خرجوا (لعلّ) لتوقع أحد الأمرين : أما الأول فهو ترجي المحبوب وهو أكثر شيوعا في الكلام كما تبين فيما سبق , وأما الثاني فهو الإشفاق من المكروه ومنه قول الشاعر :

لَا تُهَيِّنَ الْكَرِيمَ عَلَيْكَ أَنْ تُرَى كَعَ يَوْمًا وَالذَّهْرُ قَدْ رَقَعَهُ⁽¹⁾

وقد جاء الشاهد في مجيء (لعل) للإشفاق , فالشاعر يحذر المخاطب من تقلب الدهر وتقلب الأحوال وهو أمر مكروه متوقع , ومنه قوله تعالى : {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}⁽²⁾ فالإشفاق جاء من توقع المكروه وهو قيام الساعة , وذكر التنوخي (ت377هـ) أنها تفيد تأكيد ذلك⁽³⁾ , وهذا المعنى ينبع من الوازع الديني على الأغلب وهو يرجح خروج هذه المعاني عن التوقع المقرون بأمر محبوب أو مكروه كما تبين , ففهم ظاهر كلام الله عز وجل والاعتماد عليه سبب رئيسي في تجزئة المعاني , وهذا ليس بعيدا عن الطابع الكوفي⁽⁴⁾ , واتبعهم على هذا النهج ممن أخذ ظاهر الكلام كما تبين في هذه المسألة.

(1) انظر: المالقي , رصف المباني في شرح حروف المعاني, ص249, وانظر : ص373. ونسب البيت للأضبط بن قريع. والرواية المشهورة فيه (لا تهين الفقير) .

(2) الشورى , الآية : 17.

(3) انظر : السيوطي , الإتقان في علوم القرآن , ج4: 1167.

(4) انظر : إلياس , منى (2006) . النحو وتاريخه , دمشق : منشورات جامعة دمشق , ص14- 15.

الفصل الخامس

الخلافا في بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها

الفصل الخامس : الخلاف في بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها :

أما هذا الفصل فسيبحث الخلاف في الحروف المشبهة بالفعل من خلال طرح الآراء المختلفة في بساطة (كأنّ ولكنّ و لعلّ) وتركيبها , ومن ذلك القول في زيادة اللام الأولى في (لعلّ) , كقولك : (علك أن تذهب) , وهو مذهب البصريين , أما الكوفيون فذهبوا إلى أنّ اللام الأولى في (لعلّ) أصلية , واختلفوا أيضا في تركيب (كأنّ و لكنّ) فذهب سيبويه (ت 180هـ) إلى أن (كأنّ) مركبة من (أنّ) وكاف التشبيه لأن أصل قولك : (كأنّ الطفل رجل) هو (إنّ الطفل كالرجل) فتقدم حرف الجر الكاف اهتماما بالتشبيه وفتحت همزة (إنّ) لاتصالها بحرف الجر⁽¹⁾.

والخلاف في تركيب الحروف المشبهة بالفعل , قد أضاف بابا دراسيا واسعا للباحثين والمهتمين في اللغة , فهو يبحث في تركيب البنية الأولى لهذه الحروف , ليفتح بابا آخر للباحثين في آلية الفهم النحوي التي اعتمدها النحاة الأوائل .

(1) انظر : أبا العرفان , حاشية الصبان , ج:1: 426.

المسألة الأولى : الخلاف في لام (لعلّ) الأولى أزيدة أم أصلية :

توجه الكوفيون إلى أن اللام الأولى في (لعلّ) أصلية خلافا للبصريين الذين ذهبوا إلى أنها زائدة⁽¹⁾, أما الكوفيون فاحتجوا على بساطة (لعلّ) بقولهم : إنها حرف وحروف الحروف كلها أصلية , و احتجوا أيضا بأن حروف الزيادة المجتمعة بقولك : (سألتمونيها) غير مختصة بالحروف فلا تدخل إلا على الأسماء والأفعال , إذ لا تأتي الألف فيهما إلا زائدة أو منقلبة كقولك : (نام) فالألف منقلبة عن (واو) بخلاف الحروف كقولك : (ما , لا) فألفها أصلية⁽²⁾ واستدلوا على ما ذهبوا إليه بشذوذ زيادة اللام على ما يجوز الزيادة فيه كقولك : (زيدل و عبدل)⁽³⁾.

أما البصريون فاستدلوا على زيادة اللام الأولى في (لعلّ) بشيوع استعمالها مجردة من اللام كقول الشاعر :

لا تُهينَ الكَريمَ عَلكَ أنْ تَرُ كَعَ يَومًا والدَّهرُ قد رَفَعَهُ⁽⁴⁾

وبقول الشاعر:

علَّ صُرُوفَ الدَّهرِ أو دُولَاتِهَا نُدِلُّنَا اللِّمَّةَ مِن لَمَّاتِهَا⁽⁵⁾

(1) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج 1 : 429.

(2) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 177.

(3) المصدر السابق.

(4) انظر : البغدادي خزانة الأدب , ج 10 : 425 , وانظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 179.

(5) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 180.

واستدل البصريون أيضا على زيادة اللام الأولى في (لعلّ) بالقياس على ما زيد فيه اللام كقولك : (عبدل و زيدل)⁽¹⁾واستدلوا أيضا على شبه (لعلّ) الفعل وخاصة من حيث الوزن ف(أنّ) كوزن(عدّ) و(ليت) كوزن (ليس) و (لعلّ)كوزن (أعدّ) , وقياسا على ما ذهب إليه الكوفيون من تركيب (كأنّ) من كاف التشبيه و(إنّ),و(لكنّ) من (لا) و(كن)⁽¹⁾ ومحافظة على وزن الفعل الثلاثي (فَعَلَ,فَعُلَ,فَعَلَّ) والرباعي (فَعَّلَ) , ف (لعلّ) ليست على أحدها ؛ لذلك استدلوا على زيادتها⁽²⁾.

أما ما ذهب إليه الكوفيون من كون حروف الحروف كلها أصلية وهي لا تقبل الزيادة, ففيه نظر فهم يقرّون على تركيب (لكن و كأنّ) وهذا يدلّ على ضعف منهجهم إذ تجد تناقضا في رأيهم , وأما قولهم : بأن حروف الزيادة - سألتمونيها- لا تزداد إلا على الأسماء والأفعال لا الحروف فهو رأي راجح , وكذلك ذهابهم إلى شذوذ زيادة اللام فيما يجوز فيه الزيادة ك (عبدل و زيدل) .

أما ما ذهب إليه البصريون من استشهادهم بما نقل من شعر ليستدلوا على شيوع (لعلّ)محذوفة اللام فقد ثبت شيوعها محذوفة اللام كقول الشاعر :

وَمَا نَفْسٌ أَقُولُ لَهَا إِذَا مَا تُنَازِعُنِي لَعْلِي أَوْ عَسَانِي⁽³⁾

وكقوله تعالى : {لَعَلَّ اللَّهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} {الطلاق} : 1 . وقوله تعالى : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يوسف : 2 .

(1) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10: 424- 425.

(2) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف, ج1: 181.

(3) انظر : المالقي, رصف المباني , ص248- 249, وانظر : ابن هشام , أوضح المسالك , ج1: 330. والشاهد في قوله

: (لعلّي) , إذ شاع استخدام (لعلّ) بلامها الأولى.

وأما حجة زيادة اللام في (لعلّ) على أنّ الأصل (علّ) ففيها نظر , إذ تبين شيوع (لعلّ) دون تجريدها اللام وخاصة في كتاب الله عز وجل , ليرجح الرأي على أن كلا منهما لغة من لغات العرب , وأما قياسهم على ما زيد عليه اللام كـ (عبدل و زيدل) ففيه نظر أيضا من وجهتين أما الأولى فضعف القياس فـ(لعلّ) حرف و(عبدل) اسم , واللام التي زيدت في أول (لعلّ) يختلف ترتيبها عن لام (عبدل) التي زيدت في آخرها , أما الوجهة الثانية فهي شذوذ زيادة اللام في (عبدل و زيدل)⁽¹⁾ , لتقترن بلغة من لغات العرب , وأما ما استدلوا به على شبه (لعلّ) الفعل وخاصة من حيث الوزن وقياسهم تركيب (لعلّ) على تركيب (كأن ولكن) ففيه نظر أيضا , إذ قاسوا اللام على الكاف في (كأن) وعلى (لا) في (لكن) لنجد اختلاف الحروف التي قاسوا عليها وقياسهم على خلاف مذهبهم يبطل حجّتهم ؛ إذ يقيسون على ما هو مرفوض في مذهبهم .

وفي هذه المسألة نرى ما جاء به الكوفيون هو الصواب , وذلك لشيوع كلا اللفظين (لعلّ) و(علّ) لنستدل على أن كلا منهما لغة من لغات العرب إذ كثرت لغات (لعلّ) كما نقل إلينا ففيها إحدى عشرة لغة غير (لعلّ) و(علّ)⁽²⁾ .

أما اللغة الأولى فهي (لعلّ) بإبدال اللام المضعفة نونا , ومنه قول الشاعر :

ولا تُحْرَمُ المُولَى الكَرِيمَ فَإِنَّهُ أَخُوكَ وَلَا تُدْرِي لَعْنُكَ سَائِلُهُ⁽³⁾

وقول الشاعر :

حَتَّى يَقُولَ الجَاهِلُ المُنْطَقُ لَعْنٌ هَذَا مَعَهُ مُعَلَّقُ⁽⁴⁾

(1) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج:1: 177.

(2) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج:1: 429, وانظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج:1: 178, وانظر: أبا العرفان , حاشية الصبان , ج:1: 425. وقد أحصاها سبع عشرة لغة .

(3) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج:1: 429.

(4) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج:1: 181.

أما اللغة الثانية فهي (عنّ) بحذف اللام من (لعنّ)⁽¹⁾ , وأما اللغة الثالثة فهي (لأنّ) بإبدال العين همزة ومنه قول الشاعر :

عُوجًا عَلَى الطَّلِّلِ الْمُحِيلِ لِأَتْنَا نَبْكِى الدِّيَارِ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامٍ⁽²⁾

وأما الرابعة فهي (أنّ) بحذف لام (لأنّ) وخرّج عليه قوله تعالى : {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَأَيُّمُونُ} الأنعام: 109 . وقد سمع من كلام العرب قولهم : "أأت السوق أنك تشتري لنا شيئاً"⁽³⁾ , وأما الخامسة فهي (رعنّ) بإبدال اللام من (لعنّ) بالراء كما في قولك : "رجل ورجر"⁽⁴⁾ , وأما السادسة فهي (لغنّ) بالغين ومنه قول الشاعر :

أَلَا يَا صَاحِبِيَّ قَفَا لَعْنًا نَرَى العَرَصَاتِ أَوْ أَتَرَ الخِيَامِ⁽⁵⁾

وأما السابعة فهي (رغن) بإبدال لام (لغنّ) الأولى راءً , وأما الثامنة فهي (رعلّ) بإبدال لام (لعلّ) راءً , وأما التاسعة فهي (غنّ) بحذف لام (لغنّ) وقد حكاها ثعلب (ت291هـ)⁽⁶⁾ .

-
- (1) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 429 , وانظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 181 , وانظر : أبا العرفان , حاشية الصبان, ج1: 425 .
- (2) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 429 , وانظر : المالقي , رصف المباني , ص250 . والشاهد في قوله (لأننا نبكي).
- (3) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 430 .
- (4) المصدر السابق .
- (5) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج1: 182 .
- (6) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 430 .

وأما العاشرة فهي (لعلت) بإضافة تاء التأنيث إلى (لعلّ) , وأما الحادية عشرة فهي (لو أن) ومما نقل إلينا من قول العرب , قول رجل يماني : " من يدعو إليّ المرأة الضالة , فقال أعرابي : لو أنّ عليها خمارَ أسودّ " أي : لعلّ عليها خمارَ أسودّ (1) , وأما الثانية عشرة فهي (لعاء) بحذف اللام المضعفة من (لعلّ) وإبدالها بالألف والهمزة ومنه قول الشاعر :

لِعاةِ اللهُ فَضْلَهُ عَلَيْكُمْ بشيءٍ أنْ أمَّكُمُ شَرِيْمٌ⁽²⁾

وقال آخر :

أرى شَيْبَةَ الثُّقُولِ وَلَسْتَ أَدْرِي لِعاةِ اللهُ يَجْعَلُهُ فُؤُولاً⁽³⁾

والشاهد في كلا البيتين هو مجيء (لعاء) لغة من لغات (لعلّ) , إذ كثر استعمالها فحذفوا اللام وحذفها أولى من حذف العين فلو حذفنا لأدى ذلك إلى اجتماع ثلاث لامات , أما الهمزة في (لعاء) فهي مفتوحة كـ (لعلّ) , ولا يجوز الجر بهذه اللغات إلا في (لعلّ) و (وعلّ) على لغة في (لعلّ) بكسر اللام ومنه ما ذهب إليه ابن السكيت (ت244هـ) بإنشاده قول الشاعر : "لعلّ الله فضلكم علينا" ولعل : حرف جر شبيه بالزائد ولفظ الجلالة مبتدأ مرفوع⁽⁴⁾ , وعلى ما تبين من تعدد لغات (لعلّ) نجد أن ما ذهب إليه الكوفيون هو الأرجح على أنه لغة من لغات العرب , فـ(لعلّ) أكثر شيوعاً من (علّ) كما أن (علّ) أكثر شيوعاً من أخواتها مما أدى إلى توهم الخلاف والله أعلم.

(1) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 430.

(2) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10: 423.

(3) المصدر السابق.

(4) انظر : المصدر السابق , ج10: 422 - 423, وانظر : ابن هشام , معني اللبيب عن كتب الأعراب , ج2: 581.

المسألة الثانية : الخلاف في بساطة (لكنّ) وتركيبها:

ذهب البصريون إلى أن (لكنّ) بسيطة غير مركبة ؛ لأنها " حرف نادر البناء , لا مثال له في الأسماء , ولا في الأفعال" (1) خلافا للكوفيين , إذ ذهبوا إلى أنّ (لكنّ) مركبة ثم اختلفوا في تركيبها , فذهب بعضهم إلى أنّها مركبة من (لا) و (إنّ) وزيدت عليها (ك) مع حذف همزة (إنّ) (2) , وذهب الفراء (ت207هـ) إلى أنّها مركبة من (لكنّ) و(أنّ) فحذفت همزة (أنّ) ونون (لكنّ) لالتقاء الساكنين (3) كقول الشاعر :

وَأَسْتُ بِأَيْتِهِ وَلَمَّا اسْتَطَعُهُ وَكَانَ اسْقِيَنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلٍ (4)

والشاهد على حذف نون (لكن) لالتقاء الساكنين. ومذهب سيبويه (ت180هـ) أن النون حذفت للضرورة الشعرية والتقاء الساكنين , إذ الأصل أن يكسر نون (لكن) لالتقاء الساكنين ولاستقامة الوزن حذفت النون (5) .

وذهب آخرون إلى أنّها مركبة من (لا) و(كأنّ) والكاف للتشبيه و(أنّ) على أصلها وهذا التركيب هو سبب وقوعها بين كلامين متغايرين أي تفيد الاستدراك , وهو مذهب السهيلي (ت581هـ) (6) .

(1) المرادي , الجنى الداني , ص617.

(2) انظر: السيوطي , همع الهوامع , ج1: 425, وانظر : العُكْبَرِي , اللباب في علل البناء والإعراب , ج1: 206 , وانظر : ابن هشام , مغني اللبيب عن كتب الأعراب , ج1: 392.

(3) انظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 426.

(4) انظر : أبا العرفان , حاشية الصبان , ج1: 424.

(5) انظر : البغدادي , خزنة الأدب , ج10: 418-419.

(6) انظر : أبا العرفان , حاشية الصبان , ج1: 424, وانظر : السيوطي , همع الهوامع , ج1: 425-426.

أما ما ذهب إليه البصريون من بساطة (لكنّ) فهو الأرجح , وذلك لأن حروف الحروف كلها أصلية⁽¹⁾ فهي حرف بسيط غريب البناء إذ يوحي بأنه مركب من عدة مقاطع وهذا ما أوهم تركيبها عند الكوفيين على الأرجح , وأما قولهم : إنها مركبة من (لا) و (أنّ) و (ك) التشبيه الزائدة , ففيه ضعف لتركيب ثلاثة حروف وجعلها حرفا واحدا⁽²⁾.

وأما قول الفراء (ت 207هـ) : إنها مركبة من (لكن) ثم حذفت الهمزة من (أنّ) وحذفت النون من (لكنّ) لالتقاء الساكنين , فالأولى أن تكون مضعفة الأصل , إذ نرى تكلفا في التأويل من إضافة (أنّ) ثم حذف همزتها وحذف نون (لكنّ) لتصبح (لكنّ) , وهذا التأويل يضعف في (لكنّ) المخففة من الثقيلة فهل هي على هذا التخريج مع حذف النون من (لكنّ)؟ أم الأولى حذف ما زيد عليها وهي (أنّ)؟ ليظهر أصل بساطتها , ولعلّ غرابة تركيب (لكنّ) يفسر غرابة هذا التخريج , وما استدللّ به من قول الشاعر : " و لكّ اسقني إن كان مأوئك ذا فضل " فقد تبين أن الأصل كسر نون (لكن) لالتقاء الساكنين ولكنّ استقامة الوزن ألزمت حذف النون فالضرورة الشعرية لا يقاس عليها.

وأما قول السهيلي (ت 583هـ) : إنها مركبة من (لا) و(كأنّ) والكاف للتشبيه و(أن) على أصلها , ففيه تكلف أيضا من حذف همزة (كأنّ) وتركيبها مع (لا) لتصبح (لكنّ). والصحيح ما ذهب إليه البصريون ؛ وذلك لعدة وجوه أما الأول فهو بساطة الحروف فحروف الحروف كلها أصلية⁽³⁾ , وهو مذهب الكوفيين , إذ نجد تناقضا في مذهبهم.

(1) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 2 : 177.

(2) انظر : المرادي , الجنى الداني , ص 618.

(3) انظر : الأنباري , الإنصاف في مسائل الخلاف , ج 1 : 177.

وأما الوجه الثاني فهو مذهب الكوفيين في بساطة (لعلّ) وعدم قبولها لزيادة اللام فكيف تقبل (لكنّ) هذه الزيادات ثم حذف ما يلزم حذفه لتخريج تركيبها ففيه تكلف ومخالفة لمذهبهم في (لعلّ) , وأما الوجه الثالث فهو عدم قبول الحروف لزيادة الألفات خاصة في الوسط فلو سلمنا بذلك لصارت اسما على وزن (فاعل) والألف زائدة , لأن الألف ليست أصلا في الأسماء والأفعال الرباعية⁽¹⁾.

وأما الرابع فهو تداخل معاني الحروف التي رُكِّبت مع بعضها لتخرج إلى الاستدراك والتوكيد , فالاستدراك يقع بين جملتين ينفي ما قبله ويثبت ما بعده فهذا المعنى من (لا) النفي و(أنّ) التأكيد فلا نجد تشبيها في هذا التأويل فكيف نسلم لزيادة كاف التشبيه دون ظهور معناها في الكلام , ولعلّ الكوفيين توسعوا في تخريجه , وذلك لأخذهم بظاهر الكلام في أغلب الأحيان.

(1) انظر : المرادي , الجنى الداني , ص617.

المسألة الثالثة : الخلاف في تركيب (كأنّ) وبساطتها:

ذهب الجمهور إلى أن (كأنّ) مركبة من (أنّ) و كاف التشبيه وذلك لأن أصل قولك :
(كأنّ الطفل رجل) هو (إنّ الطفل كالرجل) ثم قُدّم حرف الجر الكاف اهتماماً بالتشبيه ففتحت
الهمزة لمناسبة اتصالها بحرف الجر⁽¹⁾.

ومن الذين ذهبوا إلى بساطتها المالقي (ت 702هـ) وقد نسب هذا الرأي إلى أغلب
النحويين فقال : "اعلم أنه قد اختلف أئمة النحويين في (كأنّ) هل هي حرفٌ مركبةٌ أو بسيطة ,
فذهب الخليل وبعض البصريين المتأخرين إلى أنه مركب وذهب أكثرهم إلى أنه بسيط"⁽²⁾,
واستدل على بساطتها بعدة أسباب , أما الأول فهو بساطة الألفاظ هو الأصل والتركيب فرع
عليه والالتزام بالأصل أقوى فلا ضرورة للتركيب , أما الثاني فهو عدم وجود ما تتعلق به
الكاف لأنها ليست زائدة ,وأما الثالث فهو دخول الكاف على (أنّ) فلو صح هذا القول لوجب
تقدير المصدر مكانها كقولك : (كأنّ الرجل ذهب) فالتقدير كذهاب الرجل , إذ يختلّ الكلام بعد
التقدير ويحتاج إلى ما يتمه , أما الرابع فهو عدم تقديرها في كل الحالات , لأنّ كاف التشبيه لا
يصحّ دخولها إلّا على الأسماء , كقولك : (كأنّ الطفل أسد) أي : إنّ الطفل كالأسد , وأما قولك :
(كأنّ الرجل ذهب) فلا يصحّ تقديرك في تأخير الكاف لأنّ التقدير : إنّ الرجل كقام , وعليه
أوجب بساطتها.⁽³⁾

(1) انظر : أبا العرفان, حاشية الصبان , ج 1: 426, وانظر : السيوطي , همع الهوامع , ج 1: 425.

(2) المالقي , رصف المباني , ص 208.

(3) انظر : المصدر السابق , ص 208- 209 , وانظر : المرادي , الجنى الداني , ص 568- 570.

ولعل ما يراه المالقي(ت702هـ) من ذهاب أكثر النحويين إلى بساطتها فيه نظر , إذ تبين أن هناك شبه إجماع على تركيبها⁽¹⁾ , وأما قوله : البساطة أصل والتركيب فرع عليه والأصل أفضل , ففيه نظر أيضا ؛ لأن الحاجة من التركيب موجودة وهي أهمية التشبيه الذي وجد السياق لأجله , إذ قدّمت الكاف من وسط الكلام إلى أوله للتنبيه على أهميته⁽²⁾ , وأما قوله : لو كانت مركبة لكانت الكاف متعلقة لأنها ليست زائدة⁽³⁾ , فقد ثبت عمل الكاف دون أن تتعلق بشيء ومن ذلك قوله تعالى : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى : 11. و الشاهد في مجيء الكاف عاملة فيما بعدها دون أن تتعلق بفعل. أما قوله : لو دخلت الكاف على (أنّ) لوجب تقدير المصدر مكانها , فدخل الكاف ليس على (أن) كما ذهب بل دخلت على (إنّ) فوجب فتح الهمزة لدخول حرف الجر عليها , كقولك : (أكرمك لأنك كريم) , ومن جهة أخرى نجد الحكم بعد التركيب يتغير عما كان عليه قبل التركيب , و قياسا على (لن) فهي مركبة من (لا) و (أنّ) , فحذفت الهمزة من (أن) تخفيفا لكثرة استعمالها , وحذفت الألف من (لا) لالتقاء الساكنين فصارتا كالحرف الواحد بحكم مختلف , كقولك : (ذنبا لن أرتكب) , وتقدم (ذنبا) على (لن) حكم جديد تختص به خلاف (أن) التي لا تعمل فيما قبلها , فيتضح من تركيب وامتزاج الحرفين (لا) و(أن) وجود حكم لم يكن موجودا من قبل ومن ذلك أيضا التركيب في (لولا) فهي مركبة من (لو) ومعناها الامتناع لامتناع الوجود , كقولك : (لو ذهب لأكرمته) فامتناع الذهاب أوجب امتناع الإكرام , ومعنى (لا) النفي كقولك : (خالد لا يكذب) أو النهي كقولك : (لا تكذب)⁽⁴⁾.

(1) انظر : أبا العرفان , حاشية الصبان , ج 1 : 426.

(2) ابن جني , أبو الفتح عثمان بن جني(1954).سر صناعة الإعراب , تحقيق : حسن هنداوي , ط 1 , دمشق : دار القلم , ج 1 : 304.

(3) انظر : المصدر السابق.

(4) انظر : ابن جني , سر صناعة الإعراب , ج 1 : 305 - 306.

وبعد تركيب (لو) مع (لا) وامتزاجهما نتج معنى جديد , وهو الامتناع للوجود كقوله تعالى : {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ} النساء : 113 . فوجود رحمة الله وفضله على سيد المرسلين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- منعت كيد من أراد ضلاله , وأما قوله : عدم تقديرها في كل الحالات , لأن كاف التشبيه لا يصح دخولها إلا على الأسماء , كقولك : (كأن الطفل أسد) , وأما قولك : (كأن الرجل ذهب) فلا يصح تقديرك في تأخير الكاف لأن التقدير : (أنَّ الرجل كقام) , فقد تبين اختلاف الحكم بعد التركيب والامتزاج كما في (لن) و (لولا) وكذلك (كأن) , إذ نجد أن القول بالتركيب هو الأرجح وما جاء به المالقي (ت702هـ) في كتابه رصف المباني فيه نظر كما تبين .

الخاتمة

إنّ الخلاف في الحروف المشبهة بالفعل جزء من خلاف النحاة الأوائل , وهو يعدّ من أهمّ مظاهر نشأة النحو. إذ انقسم إلى ثلاثة محاور رئيسية , ألا وهي : أولاً : الخلاف في العمل, ثانياً : الخلاف في المعاني , ثالثاً : الخلاف في البساطة والتركيب .

أما الخلاف في عمل الحروف المشبهة بالفعل فقد أخذ الحيز الأكبر من هذه الرسالة لتوسع النحاة في العمل , فكان الخلاف في الفروع لا الأصول , ويختص هذا القسم من البحث بجمع آراء العلماء الأوائل التي تمحورت حول حركة آخر الكلمة من نصب ورفع , كالخلاف في عامل رفع خبر الحروف المشبهة بالفعل .

أما الخلاف في معاني الحروف المشبهة بالفعل فلم يشملها جميعها , إذ اختلفت النحاة في معنى (أجل) الذي تخرج إليه (إنّ) , واختلفوا أيضاً في المعنى الذي تخرج إليه (لعلّ) ولكنّ وكأنّ). ولعلّ الكوفيين توسعوا في تخريج المعاني المختصة لهذه الحروف لتتفرع عن معناها الأصل , كخروج معنى الرجاء أو الإشفاق في (لعلّ) إلى الاستفهام أو التعليل أو الشكّ أو الإيجاب أو التشبيه .

أما الخلاف في بساطة الحروف المشبهة بالفعل وتركيبها , فلم يشملها جميعها أيضاً , فاختلّفوا في اللام الأولى في (لعلّ) أزاندة أم أصلية ؟ واختلفوا أيضاً في بساطة (لكنّ و كأنّ) وتركيبهما. إذ لم يهمل النحاة الأوائل أهمية البنية الأولى لهذه الحروف , وهي تفتح باباً دراسياً في آلية الفهم النحوي التي اعتمدها النحاة الأوائل .

النتائج والتوصيات

لقد أعانني الله عز وجلّ على جمع آراء النحاة الأوائل من مظانها المختلفة , وتقسيمها في ثلاثة فصول على شكل مسائل متفرقة تسهّل على القارئ فهمها , وتغني غيري من الباحثين من جهد الرجوع إلى مصادرها .

ولعلّ أهم النتائج تتلخص في :

أولاً : الخلاف في الحروف المشبهة بالفعل لم يشملها جميعها .

ثانياً : اعتماد الكوفيين على الشواذ يضعف رأيهم أغلب الأحيان , فقوة الرأي تعتمد على قوة الحجة المعتمد عليها .

ثالثاً : يعتمد الكوفيون على ظاهر السياق في تخريج المعاني المختصة في الحروف المشبهة بالفعل .

رابعاً : يضعف احتجاج الكوفيين في قياسهم - بعض الأحيان - على ما هو مرفوض في منهجهم .

وتوصي هذه الدراسة في البحث عن دور المعنى في تعدد الوجوه الإعرابية في المسألة اللغوية الواحدة لما لها من اقتران وثيق مع هذا البحث .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- ابن أبي ربيعة , عمر (1996) . ديوان عمر بن أبي ربيعة . تحقيق : فايز محمد , ط2, بيروت : دار الكتاب العربي .

- ابن جني , أبو الفتح عثمان بن جني (1954) . سر صناعة الإعراب , تحقيق : حسن هندأوي, ط1, دمشق : دار القلم .

- ابن خروف , أبو الحسن علي بن محمد بن علي الخضرمي (1995) . شرح كتاب سيبويه المسمى تنقيح الأبواب في شرح غوامض الكتاب , تحقيق : خليفة محمد خليف بديري, ط1, منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي .

- ابن عصفور , علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور ,

أ. (2006) . مثل المقرب , تحقيق : صلاح سعد محمد المليطي , ط1, القاهرة : دار الآفاق العربية .

ب. (1982) . شرح جمل الزجاجي الشرح الكبير , تحقيق : صاحب أبو جنات , العراق : وزارة الأوقاف والشؤون الدينية إحياء التراث الإسلامي.

- ابن كثير, إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (2003) . تفسير القرآن العظيم , ط1, عمّان : دار أسامة.

- ابن مجاهد (1972) . السبع في القراءات , تحقيق : شوقي ضيف , القاهرة : دار المعارف.

- ابن منظور, جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (2003). *لسان العرب*, تحقيق: عامر أحمد حيدر, ط1, بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الناظم, أبو عبد الله بدر الدين محمد (2000). *شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك*, تحقيق: محمد باسل عيون السود, ط1, بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن هشام, عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري,
- أ. (1997). *شرح قطر الندى وبل الصدى*, تحقيق: محمد خير طعمه الحلبي, ط2, بيروت: دار المعرفة.
- ب. (1987). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*, ط3, بيروت: دار إحياء العلوم.
- ج. (2004). *معني اللبيب عن كتب الأعراب*, تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السيد, ط1, القاهرة: دار السلام.
- ابن هطيل, جمال الدين علي بن محمد بن سليمان بن أحمد (2008). *عمدة نوي الهمم*, تحقيق: شريف عبد الكريم النجار, ط1, عمان: دار عمار.
- أبو العرفان, محمد بن علي الصبان (-19). *حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك*, تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد, القاهرة: المكتبة التوفيقية.
- أبو الفتوح, محمد شريف (1993). *التركيب النحوي وشواهد القرآنية*, القاهرة: مكتبة الشباب.
- أبو حيان, أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (1998). *ارتشاف الضرب من لسان العرب*, تحقيق: رجب عثمان محمد, ط1, القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو حيان, أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (1982). *تقريب المقرب*, تحقيق: عفيف عبد الرحمن, ط1, بيروت: دار الميسرة.

- الإشبيلي , أبو بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي (2011) . الواضح , تحقيق : عبد الكريم خليفة , ط2 , عمان : دار جليس الزمان .

- الأصفهاني , أبا الفرج الأصفهاني (2002) , الأغاني , تحقيق : إحسان عباس , بيروت : دار صادر .

- الأعرشي , ميمون بن قيس بن جندل (1927) . الصبح المنير في شعر أبي بصير , بيانة : مطبعة أدلف هلز هوستن .

- الأفغاني , سعيد (1964) . في أصول النحو , دمشق : مطبعة جامعة دمشق .

- إلياس , منى (2006) . النحو وتاريخه , دمشق : منشورات جامعة دمشق .

- الأنباري , الشيخ الإمام كمال الدين أبو البركات النحوي ,

أ. (2003) . الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين , ط1, بيروت : المكتبة العصرية .

ب. (1998) . نزهة الألباء في طبقات الأدباء , تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم , القاهرة : دار الفكر العربي .

- البغدادي , أبو بكر بن الحسن بن شقير النحوي ,

أ. (1987) . المحلى في وجوه النصب , تحقيق : فائز فارس , ط1, إربد : دار الأمل .

ب. (1981) . خزانة الأدب ولب ألباب لسان العرب , تحقيق : عبد السلام هارون , ط2, القاهرة : مكتبة الخانجي .

- البوالصة , عمّار إلياس (2007) . المنصوبات في ضوء كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى دراسة وصفية تحليلية , (رسالة ماجستير غير منشورة) , الجامعة الأردنية , كلية الدراسات العليا , عمان - الأردن .

- الجزولي , فخر الدين محمد الحسن (2005) . المعرف بأل وإن وأخواتها والاستثناء والبدل , (رسالة ماجستير غير منشورة) , جامعة أم درمان الإسلامية , كلية الدراسات العليا , الخرطوم - السودان .

- الخضري , محمد بن مصطفى بن حسن (1995) . حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك , تحقيق : يوسف محمد البقاعي , بيروت : دار الفكر .

- الخطاب , محمد بن محمد الرعيني (1995) . الكواكب الدرية شرح الشيخ محمد بن أحمد ابن عبد الباري الأهدل على متممة الأجرومية , دمشق : دار الفكر .

- دعسين , محمد عبد الملك بن عبد السلام (2006) . منحة الملك الوهاب بشرح ملحّة الإعراب , تحقيق : سميرة طارق صالح بن ثعلب , ط1, عمان : دار المناهج للنشر والتوزيع .

- الدماميني , بدر الدين (2011) . تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب قسم الأدوات والحروف , تحقيق : محمد بن مختار اللوحي , إربد : عالم الكتب الحديث .

- الذبياني , النابغة (1911) . ديوان النابغة الذبياني , نقلا عن ديوان الشعراء الخمسة ببعض تصرف وتنقيح , الفجالة , مطبعة الهلال .

- الرماني , أبو الحسن علي بن عيسى (1981) . معاني الحروف , تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شبلي , ط2 , جدة : دار الشروق .

- الزامل , الشيخ علي بن محمد (2011) . شرح ألفية ابن مالك , ط1, الرياض : دار التدمرية

- الزبيدي , السيد محمد مرتضى محمد الحسيني (2007) . تاج العروس من جواهر القاموس , تحقيق : عبد المنعم خليل إبراهيم و كريم سيد محمد محمود , ط1, بيروت : مؤسسة الرسالة .

- الزجاجي , أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ,

أ. (1984). **الجمال في النحو** , تحقيق : علي توفيق الحمد , ط1, إربد : دار الأمل.

ب. (1986) , **حروف المعاني** , تحقيق : علي توفيق الحمد , ط2, إربد , دار الأمل.

- السامرائي , فاضل صالح (2000) . **معاني النحو** , ط1, عمان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- السخاوي , علم الدين علي بن محمد (2008) . **المفضل في شرح المفصل** , تحقيق : يوسف الحشكي, عمان : وزارة الثقافة .

- السنهوري , علي بن عبد الله بن علي نور الدين (2006) . **شرح الأجرومية في علم العربية** , تحقيق : محمد خليل عبد العزيز شرف , ط1, القاهرة , دار السلام.

- سيوييه , أبو بشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر (1992) . **الكتاب** , تحقيق : عبد السلام هارون, ط3, القاهرة , مكتبة الخانجي.

- السيرافي , أبو محمد يوسف بن المرزبان (1996) . **شرح أبيات سيوييه** , تحقيق : محمد الريح هاشم , ط1, بيروت : دار الجيل.

- السيوطي , أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر ,
 أ. (1993). **الإتقان في علوم القرآن** , تحقيق : مركز الدراسات القرآنية , مكة : مجمع الملك
 فهد لطباعة المصحف الشريف , الأمانة العامة , الشؤون العلمية.
- ب. (1980). **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** , تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ,
 بيروت : المكتبة العصرية.
- ج. (1998). **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع** , تحقيق : أحمد شمس الدين , بيروت : دار
 الكتب العلمية .
- الشنقيطي , عبد الله بن مصطفى (2009) . **اخيارات أبي بكر الشنواني وآراؤه النحوية في
 كتابه الدرر البهية على شرح الأزهية** , (رسالة ماجستير غير منشورة) , جامعة أم القرى ,
 وزارة التعليم العالي , المملكة العربية السعودية .
- الصنعاني , سابق الدين محمد بن علي بن أحمد بن يعيش (1991) . **التهذيب الوسيط في
 النحو** , تحقيق : فخر صالح سليمان قدارة , بيروت , دار الجيل .
- الصيداوي , يوسف الصيداوي (1999) . **الكفاف** , دمشق : دار الفكر .
- ضيف , شوقي (1992) . **المدارس النحوية** , ط7 , القاهرة : دار المعارف .
- طربوش , ياسين (2008) . **مسالك التراث في النحو والصرف** , تحقيق : سماح عثمان
 حمشو , دمشق : دار قتيبية .
- الطلاق , يحيى خليل عطية (2006) . **النواسخ وأثرها التركيبي والدلالي دراسة في كتاب
 إملاء ما من به الرحمن في ضوء المنهج التحويلي** , (رسالة ماجستير غير منشورة) , جامعة
 مؤتة , كلية الدراسات العليا , الكرك - الأردن .

- عبد الحميد , محمد محيي الدين (ب . ت) , **عدّة المسالك إلى تحقيق : أوضح المسالك , وهو الشرح الكبير بين ثلاثة شروح , بيروت : المكتبة العصرية .**

- عبد الكريم , عبد القادر عبد الجليل (2007) . **المعجم المعياري لشبكات الفصائل النحوية , ط1 , عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع .**

- العُكْبَري , أبو البقاء عبد الله بن الحسين (1995) . **اللباب في علل البناء والإعراب , تحقيق: غازي مختار طليمات , بيروت : دار الفكر المعاصر .**

- علي سليمان (2005) . **نيل الأرب في الجمع بين (قطر الندى) و(شذور الذهب) لابن هشام , ط1, بيروت : مؤسسة الرسالة ناشرون .**

- عيد , محمد (1990) . **نحو الألفية شرح معاصر أصيل لألفية ابن مالك , القاهرة : مكتبة الشباب.**

- الفارسي , أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (1990) . **التعليقية على كتاب سيبويه , تحقيق : عوض بن حمد القوزي , الرياض : جامعة الملك سعود .**

- الفراء , أبو زكريا يحيى بن زياد (1983) . **معاني القرآن , ط3 , بيروت : عالم الكتب .**

القرني , حوفان بن صالح بن عبد الله آل حوفان (2008) . **اختلاف آراء ابن مالك النحوية من خلال شرح الأشموني للألفية , (رسالة ماجستير غير منشورة) , جامعة أم القرى , المملكة العربية السعودية .**

القضاة , فوزية علي عواد (2010) . **قضايا حروف المعاني في اللغة والنحو , ط1 , عمان : دار جهينة للنشر والتوزيع .**

- القوجوي , محمد بن مصطفى القوجوي شيخ زاده (1997) . شرح قواعد الإعراب لابن هشام, تحقيق : إسماعيل إسماعيل مروة , بيروت : دار الفكر المعاصر .
- المالقي , أحمد بن عبد النور (2005) . رصف المباني في شرح حروف المعاني , تحقيق : أحمد محمد الخراط , دمشق : مجمع اللغة العربية .
- المبرد , أبو العباس محمد بن يزيد (1999). المقتضب , تحقيق : حسن حمد, بيروت : دار الكتب العلمية .
- المرادي , الحسن بن قاسم (1992) . الجنى الداني في حروف المعاني , تحقيق : فخر الدين قباوة , ط1, بيروت : دار الكتب العلمية .
- المكودي , أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح (1993) . شرح المكودي على الألفية , تحقيق : فاطمة راشد الراجحي , الكويت : جامعة الكويت.
- موسى , نهاد (1984) . اللغة العربية وأبنائها , أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية , الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر .
- الموصللي , الشيخ عبد العزيز بن جمعة (2000) . شرح كافية ابن الحاجب , تحقيق : علي الشوملي , إربد : دار الكندي.
- ناصيف , جرجس (2010) . المعجم المبين موسوعة في أدوات النحو وشوارده , تحقيق : جوزيف إلياس , دمشق : دار النمر .
- النسابي , علي محمود (2004) . الكامل في النحو والصرف , ط1, القاهرة : دار الفكر العربي.

- النواجي , أشرف ماهر محمود (2001) . مصطلحات علم أصول النحو دراسة وكشاف معجمي , القاهرة : دار غريب .

- الهروي , علي بن محمد (1981) . الأزهية في علم الحروف, تحقيق : عبد المعين الملوحي , دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية.

- الوليدي , منصور صالح محمد علي (2005) . الخلاف النحوي في المنصوبات , (رسالة ماجستير غير منشورة) , جامعة عدن , عدن – اليمن .

- ياقوت , محمود سليمان (1999) . النحو التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم , الكويت : دار المعرفة الجامعية .